

أثرياء الحرب الجدد محل قدامى رجال الأعمال في سورية

الكاتب: وجيه حداد

أبحاث سياسية

مركز حرمون للدراسات المعاصرة:

هو مؤسّسة بحثية مستقلة، لا تستهدف الربح، تُعنى بإنتاج الدراسات والبحوث السياسية والمجتمعية والفكرية المتعلقة بالشأن السوري خاصة، والصراع الدائر في سورية وسيناريوهات تطوره، وتهتم بتعزيز أداء المجتمع المدني، ونشر الوعي الديمقراطي. كما تهتم أيضًا بالقضايا العربية، والصراعات المتعلقة بها، وبالعلاقات العربية الإقليمية والدولية.

يُنفذ المركز مشاريع ونشاطات، ويُطلق مبادرات من أجل بناء مستقبل سورية، على أسس وقيم الديمقراطية والحرية والمساواة وحقوق الإنسان وقيم المواطنة المتساوية، ويسعى لأن يكون ميدانًا للحوار البنّاء، وساحة لتلاقي الأفكار.

قسم الدراسات:

يُقدِّم هذا القسم الدراسات العلمية والموضوعية التي تناقش القضايا السورية الأساسية، وتعالج المشكلات الرئيسة، وتقترح الحلول والبدائل المناسبة، وهو مسؤول عن إنتاج المواد البحثيّة العلمية الاجتماعية والاقتصادية والقانونية والثقافية والتربوية، التي تستند إلى جهدٍ بحثيّ أصيل ورصين يتوافق مع أصول العمل البحثيّ العلمي.

يحرص قسم الدراسات على تقديم قراءات للواقع الراهن، ويضع على جدول أعماله إنتاج دراسات من الفئات البحثية كافة، بهدف إعادة بناء المنظومة الفكرية والسياسية والقانونية والثقافية والتربوية في سورية المستقبل، ويستكشف التأثيرات المتبادلة بين السياسة والاقتصاد والقانون والمجتمع والفكر، ويبحث في تأثيرات الحرب السورية وسبل تجاوزها في المستقبل في نظام ديمقراطي تعددي تداولي.



أثرياء الحرب الجدد محل
قدامى رجال الأعمال في سورية

وجيه حداد

المحتويات

ملخص تنفيذي..5
أولًا: أبرز العوامل الفاعلة لصعود أثرياء الحرب...20
أ- التحول السريع إلى اقتصاد الحرب وتلازم العنف مع العامل التربحي.....................................20
ب- ملء التصدعات والفراغات في لوحة النخب الاقتصادية..25
ج- التحكم في التدفق السلعي من النظام وإليه (ارتفاع دور النقل في التجارة الداخلية) 29
ثانيًا: النشأة الهجينة لأثرياء الحرب في سورية...32
ثالثًا: أبرز أثرياء الحرب وفق منابتهم 37
أ- أثرياء الميليشيات: 38
ب- أبرز أثرياء الحرب من عالم التجارة...46
ج- أثرياء حرب/ واجهات للعائلة الأسدية...50
د- الشبكات الخارجية:..53
رابعًا: ماذا حلّ بالطبقة القديمة؟..54
أ- مصير أملاك رجال أعمال غادروا سورية 56
ب- مصير الباقين في حضن النظام (رامي مخلوف نموذجًا)...56
خامسًا: تحولات أمراء الحرب من الاندماج والتكيّف إلى الهيمنة 60
أ- إلغاء النفوذ العسكري للميليشيا:...60
ب- غربلة أثرياء الحرب 62
ج- توزيع القطاعات الاقتصادية لأثرياء الحرب 64



سادسًا: تأثير هيمنة الشريحة الجديدة على الاقتصاد السوري 67

أ- رسم السياسات والتوجهات الاقتصادية: 67

ب- التحرر من الدعم الاجتماعي: 69

ج- الاحتكار، والاحتكار العنيف: 71

د- المكتب السري: 72

سابعًا: تأثير الهيمنة على الواقع المعيشي 74

خاتمة: 78

ملحق رقم 1 بأسماء رجال أعمال سوريين معاقبين 80

توضيح:

بسبب التكتم الشديد من قبل الدوائر الحكومية السورية، وتعذر الحصول على معلومات موثقة وفيرة تساعد في بناء دراسة موثقة أصولًا، وعدم وجود دراسات سابقة حول الموضوع، فقد تم بناء هذه الدراسة من خلال معلومات موثقة من ناحية، ومن ناحية أخرى معلومات ميدانية من أشخاص يقيمون في سورية، ويراقبون ما يجري، إضافة لمقالات كثيرة تم نشرها في مواقع اليكترونية عديدة.



ملخص تنفيذي

تدخل هذه الدراسة إلى عالم أمراء الحرب الذين تشكّلوا في مناطق النظام وبرعايته، خلال سنوات الحرب، فكوّنوا ثروات هائلة، وملؤوا فراغات مالية تشكلت بفعل الظروف العامة، وتدرّجوا صعودًا إلى قمّة المشهد الاقتصادي، فباتوا أكثر وجوه الاقتصاد السوري ورموزه فاعلية، وأكثرهم تعبيرًا عن المشهد الاقتصادي الراهن وعن السياسات الاقتصادية المتبعة.

تحددت غايات البحث من منطلق الإجابة عن الأسئلة التالية: ما الظروف التي مهّدت لظهورهم؟ وما آليات تشكلهم؟ وما منابتهم الاجتماعية والاقتصادية والأمنية؟ وما مدى ارتباط ثرائهم السريع بكلٍّ من الظرف الموضوعي والتدخلات السياسية والأمنية الفاعلة؟ ومن هم أبرز أثرياء الحرب، بالأسماء، طبقًا لآليّات تشكلهم ومنابتهم الهجينة ومقدار نفوذهم ومدى ثرواتهم وجهة ارتباطاتهم الإقليمية أو المحلية؟

وسعى البحث للإجابة عن الأسئلة التي تشير إلى علاقة دور النخبة الحاكمة بأماكن ولادة أمراء الحرب الجدد، وإلى دوافعها السياسية والاقتصادية لاحتضانهم وتعويمهم، كبديل عن أذرعها الاقتصادية القديمة، من خلال تتبع مسارات صعودهم من خط النشوء، إلى قيادة قاطرة الاقتصاد السوري، على حساب النخب القديمة التي وجدت نفسها بين التهميش والإلغاء. وحاول البحث رصد التداعيات الاقتصادية العامة الناجمة عن هذه التحولات، على مستوى السياسات الاقتصادية المتبعة، وعلى الواقع المعيشي الكارثي الناجم عنها.

هدف البحث، من إلقاء الضوء على هذه الظاهرة ورصدها وتحليلها، هو فهم ظروفها وقراءة تداعياتها على الواقع السوري، بإحاطة أكثر اتساعًا، إذ سعى لكشف الحقائق، بالأسماء والتفاصيل والوقائع، والدخول إلى جوانب لم تتطرق إليها الدراسات السابقة التي أضاءت زوايا محددة لعالم أثرياء الحرب الجدد في سورية.

لقد فرضت طبيعة الظاهرة، بتفاعلاتها المتحركة في المشهد السوري المعقّد ونظام المعلومات المغلق والكابح لتمرير الوثائق والبيانات الرسمية الكافية والدقيقة، اتّباع مزيج مركّب من القراءة الوصفية التحليلية، والاستقرائية، بغية رصد الظاهرة ومتغيراتها ومآلاتها في الواقع السوري الراهن، حيث انطلقت الدراسة من رصد تداعيات التحوّل السريع لاقتصاد الحرب في سورية، بعد عام 2011، وما صاحبه من فقدان التحكم المركزي في الاقتصاد السوري، ومن نشوء ديناميات اقتصادية مرتبطة بالسياق العنفي، وصولًا إلى تحوّل التربّح المالي إلى هدف رئيس من أهداف الحرب، وعامل من عوامل استمرارها.

لقد سمحت الديناميات الجديدة لفئةٍ من أشخاص هامشيين، من القاعَين الاقتصادي والاجتماعي، بمراكمة ثروات هائلة، عبر استغلال ظروف الحرب وتداعياتها، لتحتلّ تلك الفئة -بالتدريج- واجهة القيادة المالية، على حساب النخب القديمة (بشقيها التقليدي تاريخيًا، والشق المتكون بعد عام 2000)، التي شكّلت لزمن طويل الوجه الاقتصادي للنظام، وبدا أنها غير قابلة للاستبدال أو الإزاحة، بوصفها الامتداد العضوي والذراع المالي الأوحد للنظام، أمثال رامي مخلوف وعماد غريواتي ومحمد حمشو.


رامي مخلوف


عماد غريواتي


محمد حمشو

ومع تحوّل الاقتصاد السوري إلى اقتصاد الحرب، "بوصفه نظامًا إنتاجيًا وتعبويًا، يعمل على توفير الموارد الاقتصادية لضمان استمرارية حالة العنف»[1]، ويقوم «على الأنشطة الاستغلالية والوسيطة بدلًا من الإنتاج»[2]، فضّل العديد من أفراد النخب القديمة التريّث أو الانكفاء عن الساحة الاقتصادية، لأسباب يتّصل بعضها بمواقف سياسية، ويستند بعضها الآخر إلى محاولة تجنيب ثرواتهم وأصولهم المالية والتجارية مخاطر التدهور الأمني والتصعيد العسكري وسيف العقوبات الخارجية، ومن أبرز هؤلاء راتب الشلاح، وعماد غريواتي، وكلاهما شغل منصب رئيس اتحاد غرف التجارة، وكذلك بسام غرواي الذي شغل منصب الأمين العام لاتحاد غرف التجارة السورية، إضافة إلى عماد حميشو، وفراس طلاس.


عماد حميشو


راتب الشلاح



بسام غراوي


فراس طلاس

وخلقَ انكفاء العديد من الأسماء البارزة في عالم الاقتصاد السوري ثقوبًا في لوحة النخب القديمة، في لحظة استثنائية، حفّزت الطامحين الجدد عبر وظائفهم المسندة إليهم، في عالم الميليشيا والوساطات المحلية كما في عالم التجارة، على استغلال الفرصة السانحة، لمراكمة ثرواتٍ أحلّتهم مكان النخب القديمة.

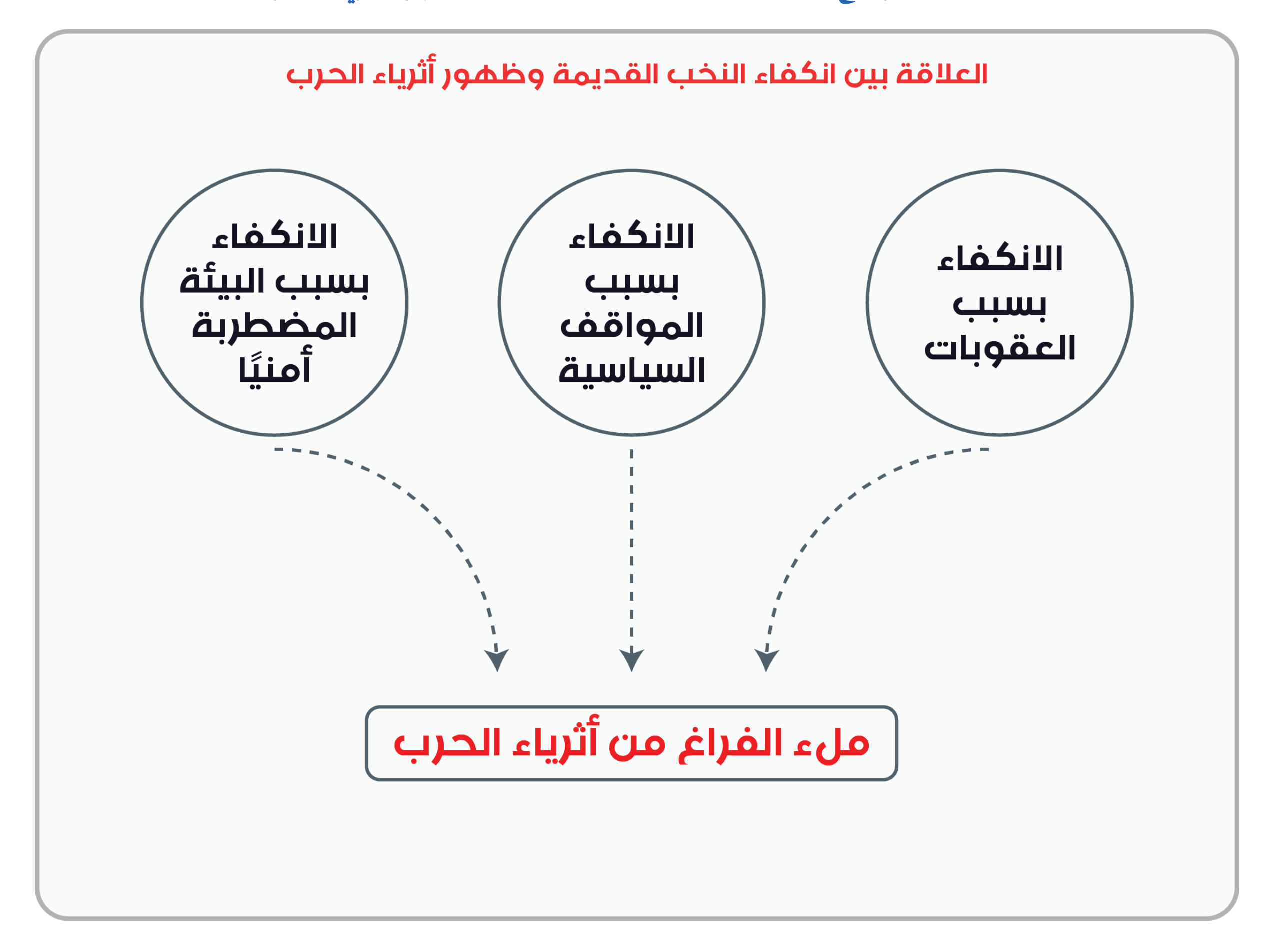
(1) - شبكات «تجارة الحرب» ما بين النظام والمعارضة في سوريا (معلومات خطيرة)، البوابة، 2014/11/26، شوهد في 2021/12/13:
https://bit.ly/3hnCwmD

(2) - **الاسكوا**، سوريا بعد ثماني سنوات من الحرب، 2018، شوهد في 2022/2/5:

https://bit.ly/3ykALjN



الشكل (1) يوضح العلاقة بين انكفاء النخب القديمة وظهور أثرياء الحرب



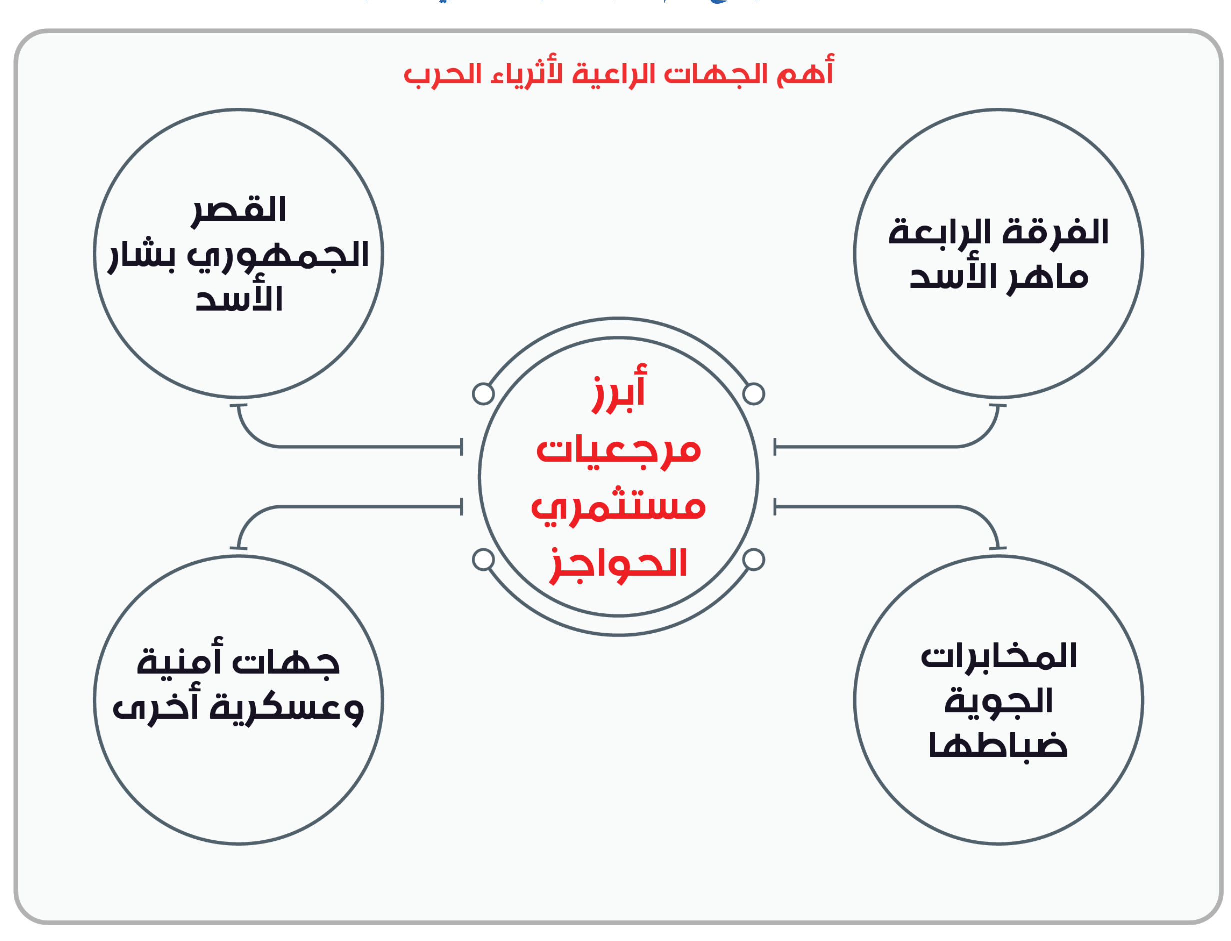
واستدعت العقوبات المفروضة على شخصيات اقتصادية معروفة، اللجوء المتزايد إلى أدوات وواجهات غير معروفة، كأحد أنماط التحايل، لتزويد النظام بالسلع الرئيسية والتدفقات المالية، وعلى رأسها النفط والقمح، لتتسع من بعد ذلك أدوارها ووظائفها اللاحقة، وتسهم في وظيفة الإطباق على اقتصادات المناطق المحاصرة، كهدف رئيسي للنظام، ضمن سياسة «الجوع أو الركوع».

وبالتزامن مع الشرط الموضوعي لصعود أثرياء الحرب الجدد، تبدّت القصدية الواعية للنظام بصناعتهم، وتهيئة الشروط الكفيلة لنموهم المتزايد، من خلال منحهم الرعاية والنفوذ اللازمين من الجهات الفاعلة في النظام، وهي «الفرقة الرابعة» التابعة لماهر الأسد (غالبًا عبر مدير مكتبه العميد غسان بلال)، كحالة كلٍّ من خضر علي طاهر الملقّب (أبو علي خضر) وعامر خيتي؛ وكذلك «القصر الجمهوري» الذي رعى (عبر اللواء بسام الحسن الذراع الأمني لبشار الأسد) كلًا من صقر رستم، قائد ميليشيا «الدفاع الوطني»، وحسام القاطرجي، وكذلك «المخابرات الجوية» إذ شكّلت غطاءً ومرجعيةً لبعض أثرياء الحرب الصاعدين (عبر مديرها السابق اللواء جميل الحسن، والعميد سهيل الحسن «الملقّب بالنمر»)، كحالة علي مهنّا، قائد «فوج السحابات» الذي افتتح «مولًا» في طرطوس بمليارات الليرات السورية، بحضور رسمي حضره محافظ طرطوس، فيما تلقى أثرياء حرب آخرين رعاية من جهات أمنية وعسكرية متفرقة، كالمخابرات العسكرية وأمن الدولة.





الشكل (2) يوضح أهم الجهات الراعية لأثرياء الحرب



حدّدت الدراسة، في تتبعها لولادة أثرياء الحرب الجدد، العلاقة بين منابتهم الاجتماعية والاقتصادية، والأدوار الوظيفية التي أسهمت في تشكيلهم، ضمن حالة من الهجانة تعدّت اختلاف منابتهم وتنوع فاعلياتهم الاقتصادية ومصادر ثرواتهم، إلى تعدد الرعاة المحليين والإقليميين، كما تتصل حالة الهجانة بانزياح نسبي في مفهوم أمراء الحرب، لانعدام سطوتهم الذاتية عند تشكلهم في نطاق مكاني محدد، واقتصارها على النفوذ المستمد من علاقاتهم السلطوية، والتسهيلات الممنوحة لهم، في إطار وظائف معينة تولّوا إدارتها لصالح بقاء النظام واستمراره.

وخضعت آليات صعودهم لمزيج متلازم من الولادة والاستيلاد والاصطفاء الأمني، وانتظمت فعليًّا في أطر التمويل الذاتي للحرب، وضبط الهوامش المالية الممنوحة لصغار عناصر الميليشيا، بالتزامن مع التنامي المزدوج لوظائفها التربحية والقتالية معًا، إضافة إلى التحكّم في الأسواق غير الشرعية الناجمة عن اقتصاد الحرب.

وغالبًا، انتظم أثرياء الحرب الجدد في سورية بحسب المنابت التي أسهمت في تشكيلهم الأولي، وفق ثلاث مجموعات رئيسية، إضافة إلى مجموعة من الشبكات الخارجية. وتشكّل المجموعة الأولى فئة مختلطة من أثرياء حرب وافدين من «محاربين وقادة مجموعات»، ومن «وسطاء محليين»، ففي حين ينتمي أبو علي خضر، والإخوة قاطرجي (حسام، ومحمد براء، ومحمد آغا)، وصقر رستم، إلى المحاربين من الميليشيا، انتمى محيي الدين المنفوش، وعامر خيتي إلى فئة الوسطاء المحليين والتجاريين الذين استغلوا ظروف الحرب والحصار، فحازا حصرية التبادل التجاري بين الغوطة ومناطق النظام، بحريّة، وتمتّعا، إضافة إلى جملة التسهيلات الأخرى، بحرية الحركة في كلتا المنطقتين.



الإخوة قاطرجي محمد براء، حسام محمد آغا

محي الدين المنفوش

وتشكلت المجموعة الثانية من أثرياء حربٍ وفدوا إلى عالم رجال الأعمال من بوابة العمل التجاري، لكنهم، أيضًا، أسهموا بدعم الميليشيات ماليًّا، أو أسسوا ميليشيات تتبع لهم نظريًّا، ومع أنهم لم يكونوا قادة ميدانيين لهذه الميليشيات، ولم يعرف عنهم إمساكهم بالقرار العسكري لتلك الميليشيات، فقد أداروا تجارتهم بعقلية الميليشيات وبمنطق القوة، وعُرف عنهم تعاملهم العنيف مع خصومهم التجاريين، ومن أبرزهم سامر الفوز الذي أسس ميليشيا «درع الساحل»، التي شاركت في معارك اللاذقية وحمص، ووسيم القطان الذي استثمر أحدَ المعابر المفضية إلى الغوطة، فيما لم يُعرَف عن سامر الدبس المصنّف من بينهم أيّ نشاط علنيّ مع الميليشيات.




سامر الفوز　　وسيم قطان　　سامر الدبس

أما المنبت الثالث فقد ضمّ واجهات العائلة الأسدية، ويقصد بالواجهات تلك الأسماء التي ظهرت فجأة في عالم الاقتصاد السوري، بأحجام لا تتناسب مع المعروف عن نشاطها الاقتصادي السابق، أو تاريخها المالي، وتبوّأت، فجأة، مراكز وأنشطة اقتصادية تُعَدّ تاريخيًّا من مجالات نشاط العائلة الأسدية في الاقتصاد السوري، التي كان غالبًا رامي مخلوف يديرها، باعتباره شريكًا وخازنًا لأعمال العائلة، قبل أن تتولى هذه الفئة الجديدة، بوصفها أقنعة مستجدة، إدارة هذه النشاطات الاقتصادية المطوّبة تاريخيًّا للدائرة الضيقة وشركائها. ومن أبرز الواجهات الجديدة، يسار إبراهيم، الذي بات يطلق عليه وصف «خازن القصر الجمهوري»، ويتولى رسميًّا منصب مدير «المكتب المالي والاقتصادي» في رئاسة الجمهورية، المعروف «بالمكتب السريّ»، والمكلف بجمع الإتاوات من التجار والصناعيين، تحت طائلة الحجز على ثرواتهم واعتقالهم في حال التمنع عن الدفع.



يسار ابراهيم

وفي حين شكلت شقيقته نسرين إبراهيم واجهة لأسماء الأسد، بإدارة شركتي الاتصال المعروفتين بعد استيلائها عليهما من رامي مخلوف، فإن حسين إبراهيم (الأب) ما زال يشكل الواجهة الأبرز في مجلس إدارة (سيريتل)، وتحديدًا بعد إزاحة «شركة الأجنحة» التي تملك 40% من الأسهم، قبل تنازلها عنها لأطرافٍ لم تكن معروفة في عالم المال والأعمال، وفق إفصاحات[3] الشركة لعام 2021، وهذا يُعزز الشبهة بأن المالك الحقيقي هو غير المالك الاسمي.

(3) - سيريتل للاتصالات، إفصاح طارئ بتغير ملكيات أعضاء مجلس الإدارة في شركة سيريتل، رقم 1428، تاريخ 2022/12/12، شوهد في:
https://bit.ly/3MGvt6j



التاريخ: ٢٠٢١/١٢/٩

المرجع: EXC: 09-09-12-2021

السادة سوق دمشق للأوراق المالية

المدير التنفيذي

الدكتور عبد الرزاق قاسم المحترم

تحية طيبة وبعد،

الموضوع: بيان بملكية أعضاء مجلس إدارة شركة سيريتل موبايل تيليكوم

إشارة إلى كتابكم رقم ١٤٢٦/ص.خ تاريخ ٢٠٢١/١٢/٥ المتضمن إعلامنا بتنفيذ ثلاث صفقات على ورقة سيريتل في السوق بتاريخ ٢٠٢١/١٢/٥ أدت إلى تغير في الأثر الملموس، وإلى كتاب هيئة الأوراق والأسواق المالية رقم ٥٧٣/ص.ف تاريخ ٢٠٢١/١٢/٩ المتضمن طلب تزويد الهيئة ببيان تغير ملكية أعضاء مجلس إدارة شركة سيريتل موبايل تيليكوم بعد تنفيذ الصفقات الضخمة خلال الفترة السابقة.

فيرجى أخذ العلم أن ملكية أعضاء مجلس الإدارة أصبحت على الشكل الآتي:

الاسم	النسبة من رأس المال قبل الصفقة	النسبة من رأس المال بعد الصفقة
شركة الوائل محدودة المسؤولية يمثلها الدكتور احمد العلي (رئيس مجلس الإدارة)	5.751%	0.597%
شركة بيلفور للاستثمار المساهمة المغفلة الخاصة يمثلها الدكتور حسين إبراهيم (نائب رئيس مجلس الإدارة)	18.563%	0.298%
شركة الإمداد المتألقة للتجارة والاستثمار المحدودة المسؤولية تمثلها المهندسة رشا الحداد (عضو مجلس الإدارة)	2.905%	0.298%
شركة الأجنحة المساهمة المغفلة الخاصة يمثلها السيد طارق خباز (عضو مجلس الإدارة)	40%	0.298%
الدكتور ربيع سمعيا (عضو من غير المساهمين)	0	0

يرجى الاطلاع.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير

مريد صقر الأتاسي

رئيس المديرين التنفيذيين

سيريتل موبايل تيليكوم (شركة مساهمة مغفلة عامة)

رقم الوارد: ١٩٤٢٨

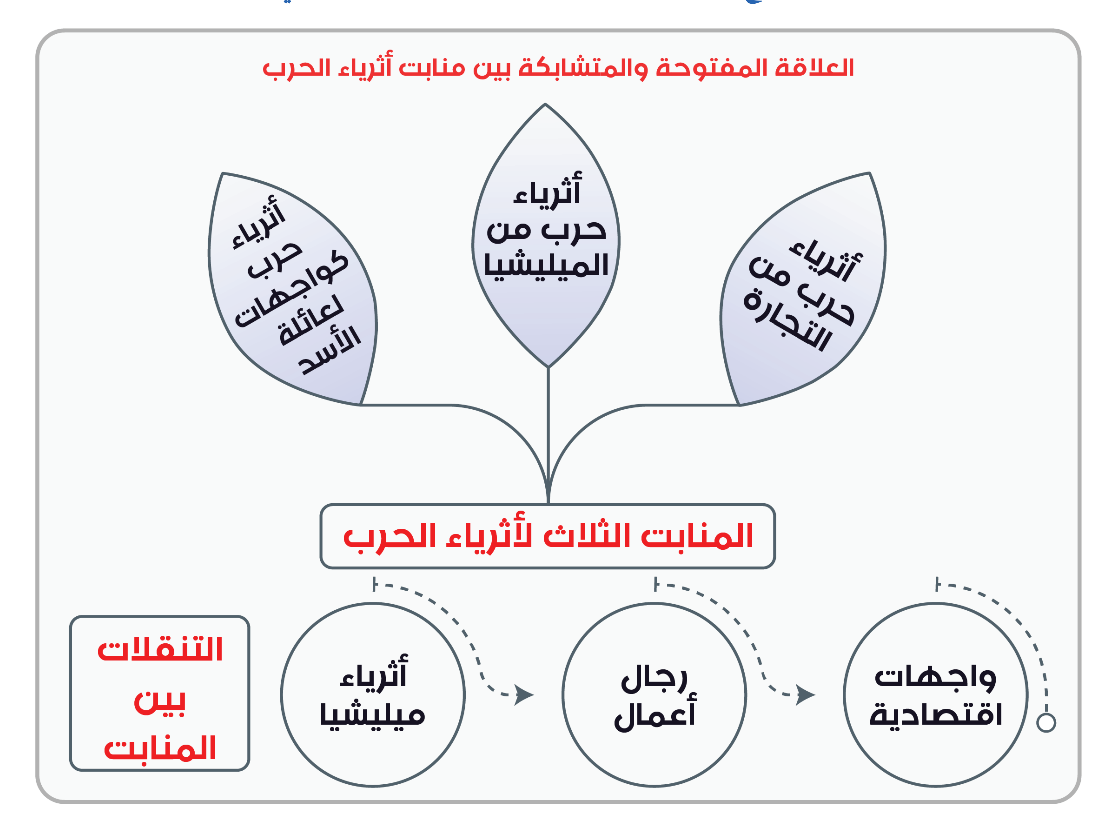
التاريخ: 2021 / 12 / 12

إفصاح طارئ بتغير ملكيات أعضاء مجلس الإدارة في شركة سيريتل

وإضافة إلى المنابت الثلاثة السابقة، استدعت العقوبات الاعتماد على شبكة إضافية من شخصيات جديدة مقيمة في الخارج، وغالبًا، لم يكن لها حضور سابق في الاقتصاد السوري، وأنجزت لصالح النظام وظائف ذات طبيعة مزدوجة، ماليًّا وعسكريًا، منها الإسهام في رفد الترسانة الكيمياوية بمستلزماتها، ومن هؤلاء مدلل خوري المقيم في موسكو ويحمل الجنسية الروسية؛ وسليمان معروف الحامل للجنسية البريطانية والمقيم فيها؛ وسمير أنيس حسن المقيم في سورية؛ وبشار كيوان الحائز على الجنسية الفرنسية والمقيم حاليًّا في إسبانيا، وقد رفضت تسليمه إلى الكويت، بعد فراره منها على خلفية حكم قضائي صادر بحقه بتهم غسيل الأموال[4].



الشكل (3) يوضح العلاقة المفتوحة والمتشابكة بين منابت أثرياء الحرب



(4) - انظر: خفايا رفض إسبانيا تسليم رجل الأعمال السوري بشار كيوان للكويت، المشهد، 2020/9/2، شوهد في 2022/5/1:
https://bit.ly/3s3cavl



العلاقة المفتوحة والمتشابكة بين منابت أثرياء الحرب

الدور الحاسم للميليشيا في تشكل أثرياء الحرب

الانكفاء بسبب العقوبات
أسسوا ميليشيا
انخرطوا في ميليشيا
تعاونوا مع ميليشيا

أثرياء حرب منبت تجاري
أسسوا ميليشيا
دعموا ميليشيا

واجهات أسدية
أسسوا ميليشيا
دعموا ميليشيا

وشكّلت أسماء الأسد الداخلة، بنَهم وشراسة[5]، إلى عالم الاقتصاد السوري، والتي تحوّلت من «وردة الصحراء» إلى «سيدة سورية الحديدية»، أحدَ أبرز رعاة الواجهات الجدد، وبالأخص في قطاعات الاتصالات والأغذية والقطاعات ذات القناع الخيري، حيث برزت وجوه جديدة مرتبطة بها، مثل لينا كناية، وزوجها همام مسوتي الذي أوصلته إلى مجلس الشعب، كما برز اسم أحمد خليل، المالك «لنصف شركة تيلي سبيس» (بالشراكة مع علي نجيب إبراهيم)»[6]، والمالك أيضًا لنصف شركة (سند) للحماية الأمنية، إضافة إلى ورود اسمه في عددٍ من الشركات المستحدثة أخيرًا، وظهور اسم ابنتيه: رنا (20 عامًا) وريتا خليل (21عامًا)، كشريكتين في تأسيس (وفا تيليكوم) المشغل الثالث للخليوي[7]، في تعبيرودلالة عن سيطرة العائلة الأسدية على مزيد من مفاصل الاقتصاد السوري من جهة، وعن الاستمرار في التحايل على العقوبات الغربية، التي

(5) - look: Doron Paskin, How Asma Assad transformed from ‘Desert Rose’ into Syria’s ‘Iron Lady’ ,ctech, 16/5/2020.seen in 27/1/2022, in https://bit.ly/3Laoou2

(6) - انظر: أسماء.. صحيفة تكشف بالوثائق طرق تحايل النظام السوري على العقوبات، الحرة، 2022/3/23، شوهد في 2022/3/25:
https://2u.pw/UOgt6

(7) - انظر: تيسا فوكس وكرم شعار، سوريا: شركات وهمية لتجنب العقوبات على نخب مقربة من الأسد، درج، ت الغارديان، 2022/3/27 شوهد في 2022/3/3:

https://bit.ly/3w6xQIB

باتت -بحسب وصف وزير الاقتصاد السوري- «حرفة سورية»[8].


لينا كناية



همام مسوتي

وبغض النظر عمّا يقال عن خبرة أسماء الأسد المرتبطة باختصاصها الدراسي، في عالمي المال والإدارة في بريطانيا، فإن التغوّل الكبير والهيمنة المتزايدة لها على قطاعات اقتصادية، عبر واجهات تتوالد باستمرار لصالحها، لا يحتاج في بلد مثل سورية إلى أكثر من الصلاحيات المطلقة التي تحوزها، بحكم موقعها في القصر الرئاسي، كزوجة وشريك، حيث تتولى إدارة مصالح العائلة المالية عبر أقنعة تابعة لها، تتجدد باستمرار.

وفي حين سلّطت الدراسة الضوء على أبرز أثرياء الحرب، وحددت النقاط الفاعلة في سِيَرهم الذاتية ونشاطاتهم الاقتصادية غير المشروعة والمستجدة، ومصادر ثرواتهم، وعلاقتهم الوثيقة بمركز القرار السياسي، عمدت إلى رصد التراجع الإجباري في منظومة النخب القديمة، ورصد فاعلياتها، ومصائر أملاكها.

كان الطلاق المخلوفي الأسدي قد شكل الرسالة الأبرز للنخب القديمة، بضرورة الانصياع وإخلاء المشهد أمام الوافدين الجدد والخضوع لهيمنتهم؛ إذ توزّع مصير النخب القديمة بين الإلغاء الكلي والاستيلاء على أملاكهم، أمثال عماد حميشو، إمبراطور تجميع وصناعة السيارات ووكيل شركتي شيري الصينية، وسابا الإيرانية[9]، وعماد غريواتي أكبر وكيل لتجميع واستيراد السيارات في سورية (جاكوار، فورد، لنكولن، لاند روفر، كيا)، إضافة إلى ملكيته الشركة السورية لصناعة السيارات السياحية[10]، وبين التهميش والانكفاء الذاتي، لعدم القدرة على المنافسة، وغالبًا ارتضى هؤلاء أدوارًا خلفية، وأدّوا فروض الطاعة والخضوع، أمثال هيثم جود الذي قدم الاعتذار والإتاوة ليُسمح له بالعودة والاستمرار، وأمثال هاشم أنور العقاد الذي قلّ حضوره في الفترات الأخيرة.

---

(8) - انظر: أسماء.. صحيفة تكشف بالوثائق طرق تحايل النظام السوري على العقوبات، الحرة، 2022/3/23، شوهد في 2022/3/25:
https://2u.pw/UOgt6

(9) - انظر: مودة بحاح، سيارات سورية...صناعة في زمن الحرب، المردة، 2017/3/23، شوهد في 2022/3/22:

https://bit.ly/3FvI4a5

(10) - رئيس اتحاد غرف الصناعة السورية، ورئيس غرفة صناعة دمشق وريفها وأحد مؤسسي قناة (الدنيا) عماد غريواتي من دبي يستقيل..!! الجالية السورية في دول الخليج، شوهد في 2022/4/17:

https://bit.ly/383ttGo





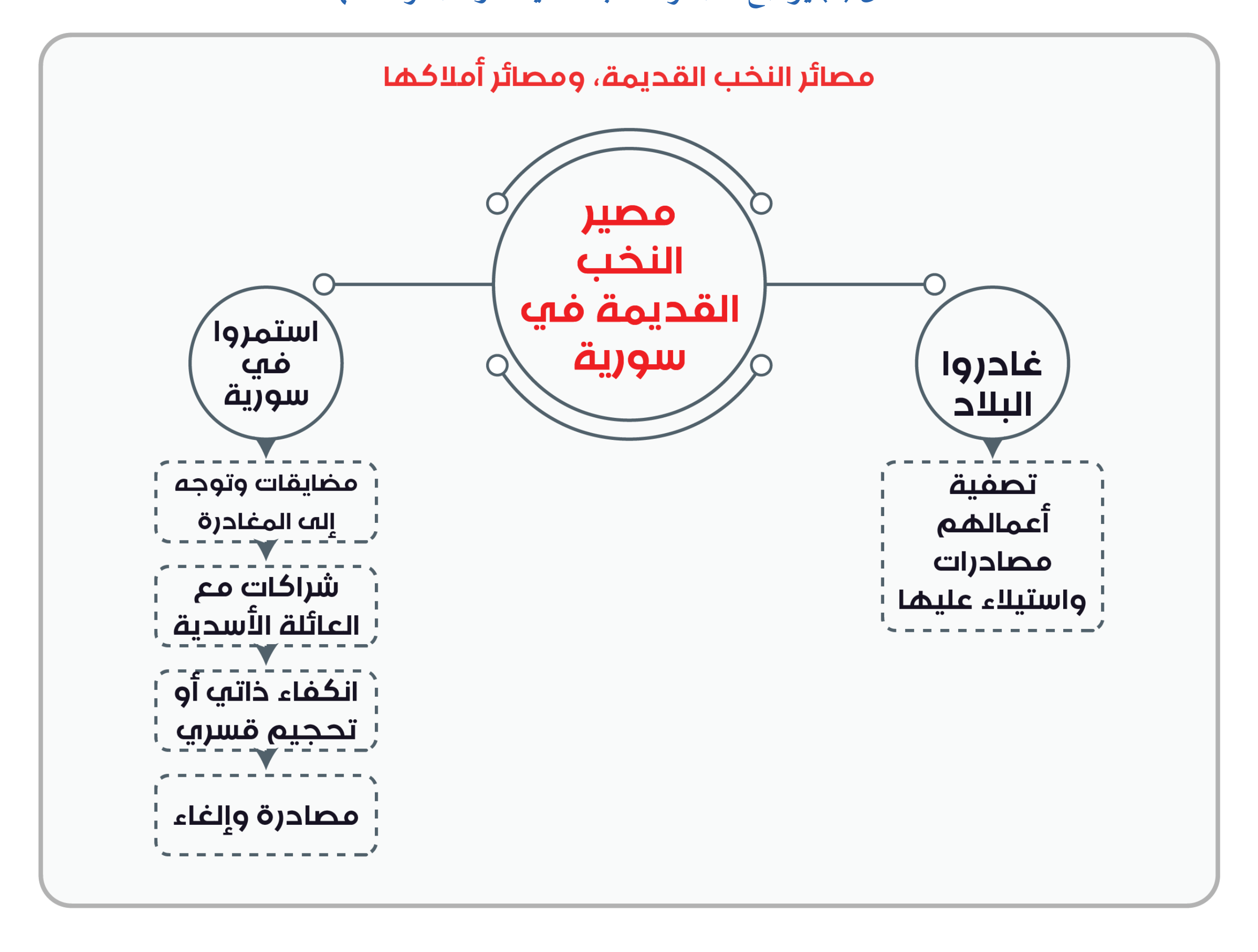
هيثم جود





هاشم العقاد

الشكل (4) يوضح مصائر النخب القديمة، ومصائر أملاكها



مقارنة بين رجال الأعمال القدامى، وأثرياء الحرب الجدد

أثرياء قدامى	أثرياء جدد
استفادوا من علاقاتهم بمراكز القرار، ولكن كانت لهم أدوارهم ومبادراتهم الخاصة، وتعرضوا للمنافسة ومخاطر الخسارة والإفلاس، أي كان لهم دور في تكوين ثرواتهم	استغلّوا فرصًا صُمّمت لهم بحماية النظام، من دون مبادرات أو نشاط (لا دور لهم في صناعة ثرواتهم، فهم أدوات)
كوّنوا ثرواتهم خلال سنوات عديدة، بأنشطة ذات غطاء قانوني	كوّنوا ثرواتهم خلال سنوات قليلة، بأنشطة غير قانونية
لهم مصالح وعلاقات وصداقات مع شركات عربية وأجنبية	ليس لهم علاقات تُذكر مع شركات عربية وأجنبية
لهم استثمارات في الخارج تمنحهم بعض القوة ويخشون أن تشملهم العقوبات	ليس لديهم استثمارات في الخارج تمنحهم قوة أو شعورًا بالاستقلال
لهم رصيد اجتماعي داخلي تكون خلال سنوات عديدة	ليس لهم أي رصيد اجتماعي داخلي
شملتهم العقوبات وباتوا غير قادرين على خدمة النظام للتهرب من العقوبات	لم تشملهم العقوبات إلى حين، وكانت هذه فرصتهم للاعتماد عليهم ومراكمة الثروات..
ساهموا في السنوات الأولى في دعم النظام، سواء عبر نشاطاتهم للتحايل على العقوبات أو تكوين ميليشيات أو دعمها، لذا يشعرون بأن لهم فضل على النظام.	ليس لهم مساهمات تذكر في دعم النظام وهم مدينون للنظام في كل شيء
لديهم شيء من الإحساس بالكرامة	ليس لديهم أي إحساس بالكرامة، ويقبلون كل الشروط التي تُفرض عليهم وأن يكونوا مالكين شكليين وأدوات
يعدّون أنفسهم شركاء لرجالات السلطة، ولا يتنازلون بسهولة عن شركاتهم لأفراد من بيت الأسد	يرون أنفسهم خدمًا لرجالات السلطة، ويقبلون أي قرار لعائلة الأسد بتحويل ملكية الشركات إلى وكلاء بيت الأسد الجدد

منذ عام 2017، قام النظام بمجموعة من الخطوات لتكريس أثرياء الحرب الجدد، فعمد إلى حلّ الميليشيات المتعددة، وإخراجها من دائرة التربح المالي، وشرعن ميليشيات محددة، ومنحها حق التربح المالي، وفق تراخيص قانونية باسم شركات أمنية، فتحولت ميليشيا «سرايا العرين 313» التابعة للمخابرات العسكرية، إلى شركة العرين للحراسة الأمنية، وتحولت ميليشيا درع الأمن العسكري في الساحل السوري، إلى شركة الدرع للحراسات الأمنية[11].

(11) - انظر: منهل باريش، الشركات الأمنية الخاصة في سوريا: وكلاء جدد في خدمة النظام، MIDDLE EAST DIRECYIONS, 28/7/2020، شوهد في 27/12/2021:

https://bit.ly/39dpQhl



وسارع النظام إلى إدماجهم في الأطر السياسية، كمجلس الشعب، مثل: حسام قاطرجي، وهمام مسوتي، وبلال النعال، وكذلك في الأطر الاقتصادية، مثل غرف الصناعة والتجارة، التي بات معظم أثرياء الحرب الجدد أعضاء فيها، أو رؤساء لها في رحلة لاحقة، وسلّط النظام الضوء على بعض استثماراتهم المحدثة، كدليل على التعافي وعودة العجلة الاقتصادية إلى البلاد، وحرص على تأهيلهم، اجتماعيًّا، من خلال إبراز بعض تبرعاتهم الخيرية.

وانعكس التموضع الجديد لأثرياء الحرب في قاطرة الاقتصاد السوري على تسريع وتيرة الأزمات، من خلال استيلائهم على القرار الاقتصادي في سورية، بوصفهم شركاء لصاحب القرار الأعلى في القصر الجمهوري، والقوى الإقليمية الموجودة في سورية، كإيران وروسيا، وبرزت سطوتهم المتزايدة من خلال التوجهات المستمرة لإلغاء ما تبقى من الدعم الاجتماعي المتمثل بخاصة في دعم أسعار الخبز والطاقة والسكر والشاي والرز وزيت الطعام، وخدمات الطبابة المجانية والتعليم المجاني، الذي شكل صمام أمان شعبي لعقود كثيرة في ظل سلطة البعث الممتدة لعقود ماضية.

ومع مزيج العجز الحكومي والتماهي مع أثرياء الحرب، اقتصر الدور الوظيفي للنظام -بحسب التصريحات الرسمية- على إدارة للنقص[12]. ومن خلال شراكات مضمرة، وأساليب احتكارية، وعقود توريد حصرية، تحوّلت وزارة التجارة الداخلية إلى قناع تجاري، ووسيط مكّن أثرياء الحرب الجدد من فرض أسعار سلعهم في الأسواق، وفي صالاتها وعددها 1600 صالة.

وأدّت إدارة أثرياء الحرب الجدد للاقتصاد السوري، بشقيه الرسمي وغير الرسمي، بعقلية الميليشيا، إلى تدهور معيشي غير مسبوق، وإلى كارثة إنسانية تجلّت مؤشراتها في تراجع القوة الشرائية لعموم المواطنين، وانعدام الخدمات العامة، وشحّ في معظم المواد الأساسية، ومنها الدواء والغذاء، وانخفاض القدرة الشرائية للمداخيل والأجور إلى مستوى دولار واحد يوميًّا، مع ارتفاعات متتالية في الأسعار تفوق مثيلاتها العالمية، بسبب الطبيعة الاحتكارية لأثرياء الحرب، التي تلازمت مع إجراءات عنفيّة مباشرة، تجاه المنافسين، تصل إلى تدمير ممتلكاتهم وحرقها، لإجبارهم على دفع مزيد من الإتاوات.

ويحيل التزامن بين صعود أثرياء الحرب إلى قاطرة الاقتصاد السوري، وبين التدهور الشديد للمؤشرات الاقتصادية والإنسانية في سورية، إلى الدور الفاعل لحضورهم في تعميق الكارثة الإنسانية، حيث باتت سورية تحتل المرتبة الأولى بين أكثر الدول انعدامًا للأمن الغذائي، بوجود 14،6 مليون سوري في الداخل باتوا مضطرين إلى الاعتماد على المساعدات لتأمين احتياجاتهم الضرورية[13]، فارتفعت نسب انعدام الأمن الغذائي، وذلك بزيادة 9% عن معدلاتها السابقة عام 2021، وزيادة 32 % عن عام 2020.

وتعبيرًا عن هذا التدهور، شهدت سورية ارتفاعات متتالية في أسعار حوامل الطاقة والأدوية والمواصلات والنقل والمواد الغذائية، بنسبة عشرة أمثال عن مثيلاتها عام 2019، مع نقص شديد في المازوت والبنزين وارتفاع أسعارهما، وقد ولّد ذلك موجات متكررة من الغلاء على جميع السلع بدون استثناء، وكانت المشتقات

(12) - انظر: «وزير النفط: ندير نقص وليس وفرة ومن لديه مقترحات فليقدمها»، سناك سيريان، 2020/9/17، شوهد في 2022/2/25: https://bit.ly/3vAzpQA

(13) (OCHA, Humanitarian needs overview, Syrian Arab Republic, February 2022, https://2u.pw/2ouDY

النفطية قد ارتفعت، عام 2021 وحده، أربع مرات خلال سبعة أشهر[14]، بنسبة 250%، بالرغم من ثبات سعر الصرف بحدود ما، في هذه الفترة، ووصل سعر ليتر البنزين المدعوم إلى 1100 ليرة سورية، بدلًا من 450 ليرة[15].



الجمهورية العربية السورية

وزارة التجارة الداخلية وحماية المستهلك

قرار رقم / 3598 /

وزير التجارة الداخلية وحماية المستهلك

بناء على أحكام المرسوم التشريعي رقم /46/ تاريخ 2012/06/23م

وعلى المرسوم رقم /208/ تاريخ 2021/8/10

وعلى أحكام المرسوم التشريعي رقم /8/ تاريخ 2021/4/12

وعلى كتاب وزارة النفط والثروة المعدنية رقم 3211 /9/س تاريخ 2021/12/11 المعطوف على كتاب رئاسة مجلس الوزراء رقم 1/14513 تاريخ 2021/12/7 المستند لتوصية اللجنة الاقتصادية بجلستها رقم /48/ تاريخ 2021/12/6

وعلى مقتضيات المصلحة العامة

يقرر ما يلي:

المادة 1- يحدد سعر المبيع للمستهلك من مادة البنزين الممتاز (اوكتان 90) المدعوم المسلم على البطاقة الالكترونية وفق التالي:

مادة البنزين الممتاز اوكتان 90 المدعوم /1100/ ل.س لليتر الواحد متضمنا عمولة أصحاب المحطات.

المادة 2 - يتضمن السعر الوارد في المادة الأولى من هذا القرار رسم التجديد السنوي للمركبات العاملة على البنزين والمحدد بمبلغ / 29 / ل. س لليتر الواحد.

المادة 3- يتوجب على أصحاب المحطات الإعلان عن أسعار ونوعية مادة البنزين بشكل واضح ومقروء ضمن المحطات

المادة 4- يخضع مخالفو أحكام هذا القرار للعقوبات المنصوص عليها في المرسوم التشريعي رقم /8/ لعام 2021.

المادة 5- يلغي هذا القرار كل ما هو مخالف له.

المادة 6 – ينشر هذا القرار ويبلغ من يلزم لتنفيذه اعتبارا من الدقيقة الأولى من صباح يوم (الأحد) الواقع في 12/ 12/ 2021

دمشق في / 11 / 12 / 2021م

وزير التجارة الداخلية وحماية المستهلك

الدكتور عمرو نذير سالم

وزارة التجارة الداخلية وحماية المستهلك، قرار رقم 3598، بتاريخ 2021/12/11

---

(14) - الوقود يحرق معيشة السوريين: ارتفاع السعر 4 مرات في 7 أشهر، العربي الجديد، 2021/10/16، شوهد في 2022/2/23: https://bit.ly/3KhzNY6

(15) - رفع سعر البنزين المدعوم إلى 1100 ليرة، الوكالة العربية السورية للأنباء، سانا، 2021/12/11، شوهد في 2022/2/4: https://bit.ly/3OYOXER



نص الدراسة

تمهيد

بعد عام 2011، تقاطعت حاجة النظام إلى إيجاد قنوات أكثر مرونة في الاقتصاد السوري، لتلبية متطلبات الانتقال إلى اقتصاد الحرب، مع الدوافع الشخصية والطموحات الفردية لأفراد هامشيين استغلّوا ظروف الحرب، بحكم مواقعهم فيها، لصناعة ثروات من العدم أو لمراكمة ثروات إضافية، مستفيدين من واقع غضّ النظر عنهم، وذلك مقابل خدمات يؤدونها لصالح النظام، فاستثمروا تداعيات اقتصاد الحرب وديناميات، وأسواقه غير الشرعية، ومعابر التهريب وتجارة الأسلحة والمخدرات، وبزنس المناطق المحاصرة، والاتجار بالبشر، وتوظيف الفوضى والعنف، لتحقيق أهداف شخصية.

ومع استمرار الحرب، وتحوّل العامل التربحي إلى أحد أهدافها؛ تطورت المقايضة بينهم وبين النظام من صيغة (خدمات أمنية وعسكرية، مقابل منافع مادية)، إلى (خدمات أمنية وعسكرية واقتصادية، مقابل حصص وشراكات بنسب معينة)، وفيما تدفقت عائداتها تراتبيًّا إلى مراكز القرار والنفوذ، لضمان استمراريتها، تحوّل صعود أثرياء الحرب في سورية إلى هدف واع ومقصود، بمقدار إحالته إلى حوامل موضوعية أسهمت في تكوينه.

وفي سياق العلاقة التاريخية بين النظام السوري ونخبه الاقتصادية، فإن صعود أثرياء الحرب يقارب، بشكل ما، إعادة استنساخ النظام لتجارب سابقة له، عمل فيها على صياغة نخب منبثقة عنه، تعبّر عن صورته السياسية، ومنها التجربة المخلوفية (نسبة إلى رامي مخلوف وهيمنته بتفويض من النظام) التي كرّسها عام 2000، وتشكلت بسلاسة نسبية، قياسًا بالعنف المستبطن في تشكيل أثرياء الحرب الجدد، لتأثر التجربة الجديدة بعوامل ولادتها ونشأتها الموضوعية في ظروف الحرب.

وبغض النظر عن القصدية الكامنة لدى النظام في استبدال النخب القديمة، وتدخله الفاعل في تكريس أثرياء الحرب الجدد ضمن المشهد الاقتصادي السوري، فإن هناك جملة من العوامل المرتبطة بظروف الحرب قد هيأت وأسهمت إسهامًا كبيرًا في تشكلهم الأولي.

أولًا: أبرز العوامل الفاعلة لصعود أثرياء الحرب

أ- التحول السريع إلى اقتصاد الحرب وتلازم العنف مع العامل التربحي

ارتبطت الوظيفة الأمنية تاريخيًّا في سورية بمجالات التربّح ضمن الهوامش المتعلقة فيها، ومع اندلاع الثورة، وسّع النظام مجالات التربح المرتبطة بالوظائف الأمنية، ونقلها من إطارها الضيق إلى سياقها الشامل، فمنح الصفة الأمنية لجميع القوى المسلحة؛ النظامية منها وغير النظامية[16]، بصلاحيات مفتوحة السقوف، أفضت إلى تحكم الميليشيات وقادتها في مجمل المفاصل الاقتصادية والتجارية، وعلى رأسها قطاع النقل. وكان الدور التربحي للحواجز الأمنية في المجالات المعيشية والاقتصادية قد برز باكرًا من عمر الثورة، بالتوازي مع أدوارها الأمنية المناطة بها، فاستغلت تلك الحواجز الحاجات الإنسانية الملحّة الناجمة عن الحصار، ويُعدّ البيان الذي وقعه بعض الفنانين، في 1 أيار/ مايو 2011، رفضًا للحصار الاقتصادي، والذي أطلق عليه الموالون اسم «بيان الحليب»[17] أوّلَ وثيقة تكشف تحكم تلك الحواجز في التدفق السلعي، كمعطى عقابي وتربحي، وسريعًا ما أفضت الأمور بفعل الحواجز المنتشرة إلى واقع تحتّم فيه دفع مبالغ مالية طائلة على الصعيد الفردي، لإدخال كمية ضئيلة من الخبز أو عبوة حليب أطفال إلى بعض المناطق المحاصرة.

ومن الهوامش الفردية للتربح، تطورت صيغ تجارية عملت على تنظيم التبادل السلعي مع المناطق المحاصرة، تأطرت وفق صيغ محددة، أشرفت عليها الميليشيا المسيطرة مكانيًّا، وأفضت إلى اعتماد وكلاء حصريين في الجانب الآخر، منحهم النظام حقّ عبور حواجز التماس في الاتجاهين لتمرير البضائع المطلوبة، مقابل إتاوات متفق عليها، كحالة محيي الدين المنفوش في الغوطة الشرقية، وعامر خيتي، وحالة الإخوة قاطرجي في حلب والرقة ومناطق الشمال.

(16) - انظر: الواقع الأمني في سوريا وسبل حوكمته، عمران للدراسات الاستراتيجية، 2017/1/27، شوهد في 2022/2/3/16:
https://bit.ly/3yc85tg

(17) - انظر: مثقفون سوريون يطالبون بإيقاف الحصار الغذائي على درعا، فرانس 24، 2011/5/1، شوهد في 2022/1/9:
https://bit.ly/3BVhRQe

كيف تمول عملية حصار الغوطة أطراف النزاع المسلح
وحلفائهم من التجار على طرفي النزاع

الغوطة الشرقية

دمشق

شبكة الربح والسلطة

قادة ضمن المعارضة المسلحة

مسؤولون حكوميون وضباط

تجار

تجار

تضاعف السعر 33 مرة $3.3

حاجز للمعارضة رسوم

منطقة التبادل

حاجز حكومي رسوم

سعر الانتاج $0.1

فرق السعر $3.2

ولم يقتصر التربّح الاستثماري على الحواجز الفاصلة بين النظام والمعارضة، فسرعان ما تحوّلت كل الحواجز التابعة للنظام إلى أدوات استثمارية، وجرى تقسيم وظائفها ومهماتها، وتحددت مرجعياتها العليا، وتهيكلت الحصص التراتبية للقائمين عليها، واعتمدت قيمًا للإتاوات والرسوم على حركة البضائع العابرة، وعلى حركة الأفراد، وإن كانت بنسب أقل من المفروضة على مناطق الحصار.

ومع تحوّل التربح المالي إلى واحدة من السمات والوظائف الأساسية للحرب في سورية، عمد النظام إلى إدارة المنافع الناجمة عن الوظائف الأمنية، مستفيدًا من خبرته بإدارة الفساد؛ فمنح القطاعات الأكثر ربحية للأفراد الأعلى نفوذًا وموثوقية في كل قطاع على حدة، مع ترك الهوامش التربحية الدنيا لصغار المقاتلين، كوسيلة جذب وإغراء لهم، وعامل لاستقطاب المزيد منهم، بالرغم من اشتداد وتيرة الحرب وارتفاع مخاطرها الجسدية.

وفرض العامل التربحي نفسَه على مجريات المعارك وخرائط السيطرة العسكرية، ونجم عنه في كثير من الأحيان تفاهمات وتوازنات محلية طويلة الأجل، كما في منطقة (أبو دالي) التابعة لريف إدلب الجنوبي المتصلة بريف حماة الشمالي، حيث ظلت مدة طويلة بمنزلة منطقة حرّة، بين النظام وهيئة تحرير الشام

[18]، ومنها معبر مورك الصغير نسبيًا، وقد قُدرت عائداته اليومية بـ 30 إلى 50 ألف دولار يوميًّا[19]، على الجانب الآخر، ما يعني مثيلها أو أكثر من جهة النظام، وشكلت أرباح المعابر والسيطرة عليها دافعًا رئيسيًا لمعارك الحسم العسكري في بعض المناطق، أو حتى عمليات أمنية ضمن ميليشيات المعسكر الواحد[20].

وشكّل الدور التربحي المتنامي للحواجز عاملًا مهمًّا لنقض الاتفاقات المحلية وخرق الهدن بين الأحياء، والقيام بمجازر مروعة ضد المدنيين؛ ففي حمص، على سبيل المثال، كلما سرى الحديث عن هدنة، سارع قائد ميليشيا «الدفاع الوطني» صقر رستم -لكونه مستفيدًا من بقاء الحواجز- إلى إطلاق النار وإشعال الجبهات، أو القيام بمجزرة ضد المدنيين، وغالبًا ما كانت تحمل تلك المجازر دلالات طائفية مقصودة، لتأجيج الصراع واستمرار المنافع[21].

وخضعت الحواجز التي تحوّلت إلى فرص استثمارية لمساومات الاتفاق على شرائها لفترات معينة، مقابل مبالغ يُتفق عليها، وأطلقت تسميات على حواجز بحسب المبالغ المحصلة منها يوميًّا، مثل «حاجز المليون» الذي أطلق على حاجز الزبلطاني في دمشق مقابل سوق الهال[22]، وسُمّيت أحيانًا بحسب التسعيرة المحددة لمرور كل سيارة أو شخص، وتطورت في بعض المناطق إلى صيغة مزادات علنية لتأجير الطرقات الخاضعة لإشراف تلك الحواجز، «فوفقًا لأحد مهجّري ريف حمص الشمالي، كان (غوار)[23] يفتتح مزاد عقود ترسيم معابر ريف حمص الشمالي شهريًا، في خيمة (أبو رحيل). وكان العقد يُمنَح للتاجر المحلي صاحب العرض الأكبر، بعد دفع مبلغ العقد نقدًا لغوار» [24]. فتسمح الحواجز بعبور القوافل التجارية والسيارات المحملة بالبضائع لصالح الشخص الفائز في تلك المزادات.

وأفضت تلك الصيغ التربحية والاستثمارية لحواجز النظام وميليشياته، والتي انعكست على مجمل اقتصاد الحرب ونتائجه، إلى تكوين ثروات طائلة لأشخاص راوحوا بين مستثمرين فعليين للطرقات، وبين

(18) - انظر: خالد تركاوي، اقتصاديات الحرب في سوريا، مركز جسور للدراسات، 2018/11/16، شوهد في 2022/1/4:
https://bit.ly/3spvQKW

(19) - انظر: عبد الله الحسن، هيئة تحرير الشام وحرب المعابر التجارية، أيار/ مايو 2018، شوهد في 2022/1/5:
https://bit.ly/3FoD4nA

(20) - انظر: ما علاقة تفجيرات دمشق بقرار إزالة الحواجز العسكرية؟ صوت العاصمة، شوهد في 2017/7/2:
https://bit.ly/3tchc9b

(21) - انظر: لورنس الأتاسي، ما علاقة تفجيرات حمص بالإمبراطورية الأمنية لصقر رستم؟ موقع المدن، 2016/2/22، شوهد في 2022/1/17:
https://bit.ly/3vogEzR

(22) - انظر: سلام السعدي، حواجز المليون في سوريا، العربي الجديد، 2015/4/13، شوهد في 2022/2/16:
https://bit.ly/35AMzSv

(23) - انظر: أيمن الدسوقي، شبكة اقتصاد الفرقة الرابعة خلال الصراع السوري، MIDDLE EAST DIRICTIONS، 2020/1/13، شوهد في 2022/2/5:
https://bit.ly/3C505dp

(24) - أطلق السوريون لقب «غوار» على اثنين، أحدهما أبو علي خضر، وغالبًا ما ارتبط اسمه بلقب «غوار حلب»، والثاني يوسف خانات من حمص، وعمل كلاهما في استثمار الحواجز.

وكلاء نظموا ريوع الحواجز وجباياتها لصالح جهات أمنية وسياسية أعلى، تصدّرها ماهر الأسد قائد الفرقة الرابعة التي «تمتلك أكبر عدد من الحواجز في سورية»[25]، و «يُقدّر عدد حواجز الفرقة الرابعة بـ 500 حاجز، على امتداد الخريطة السورية»[26].

الشكل (2) يوضح الجهات الفاعلة في رعاية وصناعة أثرياء الحرب

أهم الجهات الراعية لأثرياء الحرب

فتح قنوات جديدة للتحايل على العقوبات

أدت العقوبات المبكرة[27] المفروضة على النظام إلى تراجع قدرة النخب الفاعلة عن تأدية وظائفها المعتادة، ودفعت بعضها الآخر إلى الانكفاء. وفي كلتا الحالتين، برزت الحاجة إلى خلق آليات مغايرة والاعتماد

(25) - أسامة مكية، إتاوات الحواجز العسكرية بين نصيب وحلب تتجاوز 500 ألف ليرة، الحل نت، 2021/10/24 شوهد في 2022/3/11: https://bit.ly/3L21zrX

(26) - طلال مصطفى، حسام السعد، وجيه حداد، تشخيص الدمار المجتمعي السوري (2 من 3) مؤشرات التفكك الأسري والمجتمعي في سورية، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، شوهد في 2022/1/9:

https://bit.ly/389rQH5

(27) - انظر: حقائق العقوبات المفروضة على سوريا، رويتر، 2011/11/24، شوهد في: 2022/2/16:

https://reut.rs/3teOLHF

على أسماء جديدة ومجهولة للتحايل على العقوبات في الإطار الخارجي، وملء الفراغ في الإطار الداخلي[28].

وأفسحت حزم العقوبات المتتالية مجالًا لأسماء ذات جذور اقتصادية هشّة، وبعضها عديم الجذور كليًّا، للصعود إلى واجهة المشهد الإعلامي كأقطاب مركزية في الاقتصاد السوري، وعزز من حضور تلك الأسماء ادعاء رامي مخلوف، بعد ثلاثة أشهر من اندلاع الثورة، انسحابه من المشهد الاستثماري السوري، وتحوله إلى مجال العمل الخيري[29]. فبدا طريق سامر الفوز القادم من العدم إلى القمة بلا مقدمات معبدًا، وبدأت أسماء مجهولة أخرى، مثل وسيم قطان، عادل العلبي، أو معروفة، لكنها لم تكن تمثل الواجهة، مثل سامر الدبس الذي يمكن اعتباره حالة مزيج من النخب القديمة والحديثة، تتولى استثمارات داخلية كانت في السابق حكرًا على أصحاب الحظوة من رجال أعمال النظام وشبكاته المعروفة التي شملتها العقوبات، أو تخوفت منها، واتسمت أسماء الشريحة الوافدة من عالم التجارة بضعف هياكلها الاقتصادية السابقة، وغياب المعرفات الاقتصادية لمصادر أموالها وتاريخها، كما اتسمت بتقارب أعمارها حول عمر الأربعين عامًا.

ومهّدت العقوبات الاقتصادية لأفراد ميليشيا غير معروفين اقتصاديًّا، وليس لهم استثمارات خارجية، للحلول محل آخرين ارتبطوا بصفقات مشبوهة مع أطراف إرهابية، وتم افتضاحهم باكرًا، فحلَّ الإخوة قاطرجي بديلًا لجورج حسواني، مالك شركة هيسكو لإنتاج الغاز الطبيعي، الذي انكفأ بعد خضوعه للعقوبات[30]، ليستمروا بدلًا عنه في تزويد النظام بشحنات النفط القادمة من مناطق سيطرة (داعش) ومناطق سيطرة PYD.

وفي المقابل، استدعت العقوبات الاعتماد على أسماء جديدة مقيمة في الخارج، وغالبًا، لم يكن لها حضور سابق في النشاط الاقتصادي السوري، وأنجزت لصالح النظام وظائف ذات طبيعة مزدوجة، ماليًّا، وعسكريًّا، بما فيها الإسهام في رفد الترسانة الكيمياوية بمستلزماتها[31]، فبرز -على سبيل المثال- اسم مدلل خوري[32] الحائز على الجنسية الروسية، موظفًا شركاته وشبكاته المصرفية لتقديم خدمات مالية وعسكرية، وبرزت أسماء أخرى، مثل سمير أنيس حسن، المرتبط بصلة عائلية مع «ذو الهمة شاليش»، بوصفه عراب الاستثمارات الروسية في سورية، ومازن الترزي، الذي اعتُقل لفترة قصيرة في الكويت على خلفية تبييض أموال لصالح النظام السوري[33]، وبشار كيوان، شريك ابن اللواء بهجت سليمان «حيدرة

---

(28) - انظر: الملحق في نهاية البحث، أسماء رجال أعمال سوريين خاضعين للعقوبات الغربية.

(29) - انظر: رجل الأعمال السوري رامي مخلوف يعلن تخليه عن التجارة ويتجه للعمل الخيري، فرانس 24، 2011/8/4، شوهد في 2022/1/20: https://bit.ly/3pnnTE5

(30) - انظر: عدي عبد الله، مجموعة قاطرجي .. حيتان الرشوة والتربح من العلاقة مع النفوذ الإيراني في سورية، الحل نت، 2021/12/30، شوهد في 2022/1/28: https://bit.ly/3hEZ7LL

(31) – انظر: طارق صبح، حيتان الأسد وجوه الفساد الاقتصادي في سوريا، تلفزيون سوريا، 2021/2/5، شوهد في 2021/12/17: https://bit.ly/3HAk70k

(32) - المصدر نفسه

(33) - انظر: **منظمة مع العدالة**، شبكة رجال الأعمال لتمويل النظام السوري والتحايل على العقوبات الدولية ط1 2020، ص 179، 175، 97 https://bit.ly/3M5ocND

سليمان»، وكان بشار كيوان قد فرّ من الكويت على خلفية حكم بالسجن خمس سنوات، بتهمة تبييض أموال، وينتمي إلى هذه الشريحة سليمان معروف، المرتبط بمحمد ناصيف بعلاقة قربى[34].




جورج حسواني



مازن الترزي

ب- ملء التصدعات والفراغات في لوحة النخب الاقتصادية

لم يمنع التماسك الصلب لبيئة رجال الأعمال السوريين والتفافهم حول النظام من حدوث تصدعات، لا يمكن القول إنها كانت محورية، لكنها أحدثت ثقوبًا وتشققات سمحت لأثرياء الحرب الجدد أن يستغلوا غيابها وأن يتموضعوا فيها لاحقًا.

ويعود التماسك الصلب في بنية النخب السورية القديمة، والتفافها حول النظام، إلى أسباب تتصل بعوامل تكوّن النخب الاقتصادية السورية ما قبل الحرب، ويمكن تقسيمها إلى نخب آتية من عالم الفساد واستغلال النفوذ، تأسست ثرواتها ومصالحها في ظل النظام، ما يعني ارتباط مصالحها باستمراريته، ومن نخب تقليدية لم يُسمح لها بتكوين إطار ذاتي مستقل، وتم إضعافها في ظل سلطة البعث المديدة، واضطرت إلى عقد تحالفات وشراكات مع نخب الفساد والامتيازات لحماية مصالحها، ما جعلها عاجزة بنيويًّا عن فك عرى الترابط واتخاذ مواقف حاسمة دون تعريض مصالحها وأمنها الذاتي والعائلي للخطر الأكيد[35].

وتكوّنت الثقوب الحاصلة بشكل تدريجي وهادئ، بفعل المنحى التصاعدي والمستمر للاضطرابات، فعمدت الأسماء الأقل ولاء، والأكثر تخوفًا على مصالحها، وغالبًا ما انتمت هذه الفئة إلى النخب التقليدية العريقة، إلى تقليص أعمالها في الداخل والتسرب التدريجي إلى الخارج، وخاصة الصناعيين منهم، مثل بسام غرواي الذي غادر إلى هنغاريا، وكان عمل أمينًا عامًا في اتحاد غرف التجارة السورية وغرفة تجارة دمشق،

---

(34) - انظر: خالد التركاوي، أثرياء سوريا في زمن الحرب، مركز جسور للدراسات، 2021/7/5، شوهد في 2021/12/13: https://bit.ly/3KilIdl

(35) يجدر التنبيه إلى أن هذا التحليل ينطبق على رجال الأعمال الكبار من أبناء المسؤولين، ولكن ثمة رجال أعمال كبار آخرين استفادوا من علاقاتهم مع النظام وشبكات الفساد، ولكن كان لهم جهد في تكوين ثرواتهم، وأما غالبية رجال الأعمال من الحجم المتوسط والصغار، فقد كوّنوا ثرواتهم من خلال نشاط السوق، مع أن بعضهم استخدم العلاقات مع المسؤولين، وجلّهم مارس الفساد وخاصة دفع الرشاوى لأنه بدونها لن تسير أعمالهم. الأمر الآخر أن حافظ الأسد ومن بعده وريثه بشار حرص على أن يبقى رجال الأعمال مفتتين مشرذمين وتحت رقابة صارمة، كي لا يشكلوا «طبقة لذاتها» لها برنامجها الوطني، لذا لم يكن لقطاع الأعمال موقف كطبقة، بل مواقف فردية.

بين عامي (2009 و2012) [36]، فيما غادر عماد غريواتي إلى دبي مستقيلًا من منصب رئيس اتحاد غرف الصناعية السورية الذي شغله بين عامي (2006 و2012)، بالإضافة إلى منصب رئيس غرفة صناعة دمشق وريفها، كما انكفأ صبحي جود وأولاده، وكان صبحي جود اللاذقاني السني الذي أسس عام 2007 شركة سورية القابضة برأسمال 80 مليون دولار بدعم من النظام[37]، للتغطية على قطبية رامي مخلوف العلوي الذي سبقه بتأسيس شركة شام القابضة، قد انكفأ بعد عام 2011، بدون أي موقف معلن، وفضّل ابنه هيثم جود الانتقال إلى لبنان والإقامة فيها لسنوات قبل أن يعود[38]، بعد وفاة والده صبحي عام 2016، بالإضافة إلى خروج فراس طلاس (ابن وزير الدفاع الأسبق مصطفى طلاس) من سورية إلى دبي، والحكم عليه بالإعدام لاحقًا[39]، مع مصادرة أملاكه، على خلفية مواقفه السياسية. حتى نزار الأسعد، وقد كان من المقربين جدًا من محمد مخلوف وعائلة الأسد، غادر إلى بيروت بسبب أطماع رامي مخلوف بالاستيلاء على شركة (ليد)، فأسس شركة ليد الإمارات، ونقل أعماله إلى الخارج، وخاصة إلى الجزائر.


فاروق جود


نزار الاسعد

(36) - انظر: جوزيف ضاهر، غرف التجارة السورية في العام 2020 صعود نخبة جديدة من رجال الأعمال، 2021/4/15، MIDDLE EAST DIRECTIONS، شوهد في 2022/2/7:

https://bit.ly/3voAYRI

(37) – انظر: رجل الأعمال السوري هيثم جود اختار التدرج ورفض ملعقة من ذهب في فمه، الشرق الأوسط، 2007/6/14، شوهد في 2022/1/13

https://bit.ly/3vG9IMX

(38) – انظر: هيثم جود يعود إلى الواجهة.. لكن برفقة نبيل طعمة، اقتصاد مال وأعمال السوريين، 2018/2/13، شوهد في 2022/3/1:
https://bit.ly/3MtjNUj

(39) - انظر: فراس طلاس تعقيبًا على حكم إعدامه: أشعر أني تساويت مع 23 مليون سوري، اقتصاد مال وأعمال السوريين، 2013/6/16، شوهد في 2022/1/5:

https://bit.ly/39KYakb

وفي المقابل، عززت الأسماء القادمة من عالم الفساد والعلاقات الزبائنية مع السلطة حالةَ التصاقها بالنظام، كتعبير عن التوحد معه، مثل رامي مخلوف الذي تعهّد بالقتال إلى جانب النظام حتى النهاية[40]، ونبيل طعمة العامل في الاستثمارات الفندقية والعقارية والإنتاج الفني والنشر، وكذلك عصام أنبوبا، أحد كبار المصنّعين، والمستوردين في قطاع الغذائيات في سورية.


عصام انبوبا



نبيل طعمة

ماليًّا، عبّرت عن نفسها الفراغات والثقوب الناجمة عن تخوفات ورحيل النخب الاقتصادية بمجموع السحوبات من المصارف السورية، فمع حلول عام 2012 خسرت بنوك سورية نصف ودائعها[41]، وفي عام 2013 بلغت نسبة رجال الأعمال المغادرين سورية 70% منهم[42]، وبالرغم من عدم وجود إحصاء فعلي لمن غادر من رجال الأعمال، ولكن يمكن تفسير هذا الرقم الكبير بتوقف أعمال كثيرين منهم بسبب الحرب، ثم القتال الذي شمل مناطق كثيرة من تجمّعات المصانع والشركات، وخاصة في غوطة دمشق والمناطق الصناعية في حلب، والسيطرة على مناطق إنتاج النفط والغاز في دير الزور والرقة والبادية السورية، في حين قُدِرَتْ الأموال السورية المودعة في مصارف لبنان 16 مليار دولار، كما شكلت إشارة بشار الأسد إلى ارتباط أزمة البنوك اللبنانية وتجميد الودائع السورية فيها، بمستوى الأزمة الاقتصادية السورية، تأكيدًا إضافيًا على حجم تلك الأموال.

---

(40) – انظر: رامي مخلوف ابن خال بشار الأسد: لن يكون هناك استقرار في إسرائيل إذا لم يكن هناك استقرار في سوريا، فرانس 24، 2011/5/11، شوهد في 2022/2/17:

https://bit.ly/38eV3A2

(41) –انظر: تحقيق- البنوك السورية في صراع بقاء بعد اتساع الأزمة، رويتر، 2012/2/23، شوهد في 2022/1/25:
https://reut.rs/3MnkTAO

(42) - انظر: مروة الايتوني: 70% من رجال الأعمال السوريين أصبحوا خارج البلاد، من هم، 2013/1/32، شوهد في 202/2/26:
https://bit.ly/36EQ8Il

فيديو يربط فيه الأسد الأزمة المعيشية والاقتصادية في سورية بأزمة البنوك اللبنانية وتجميد الودائع السورية فيها

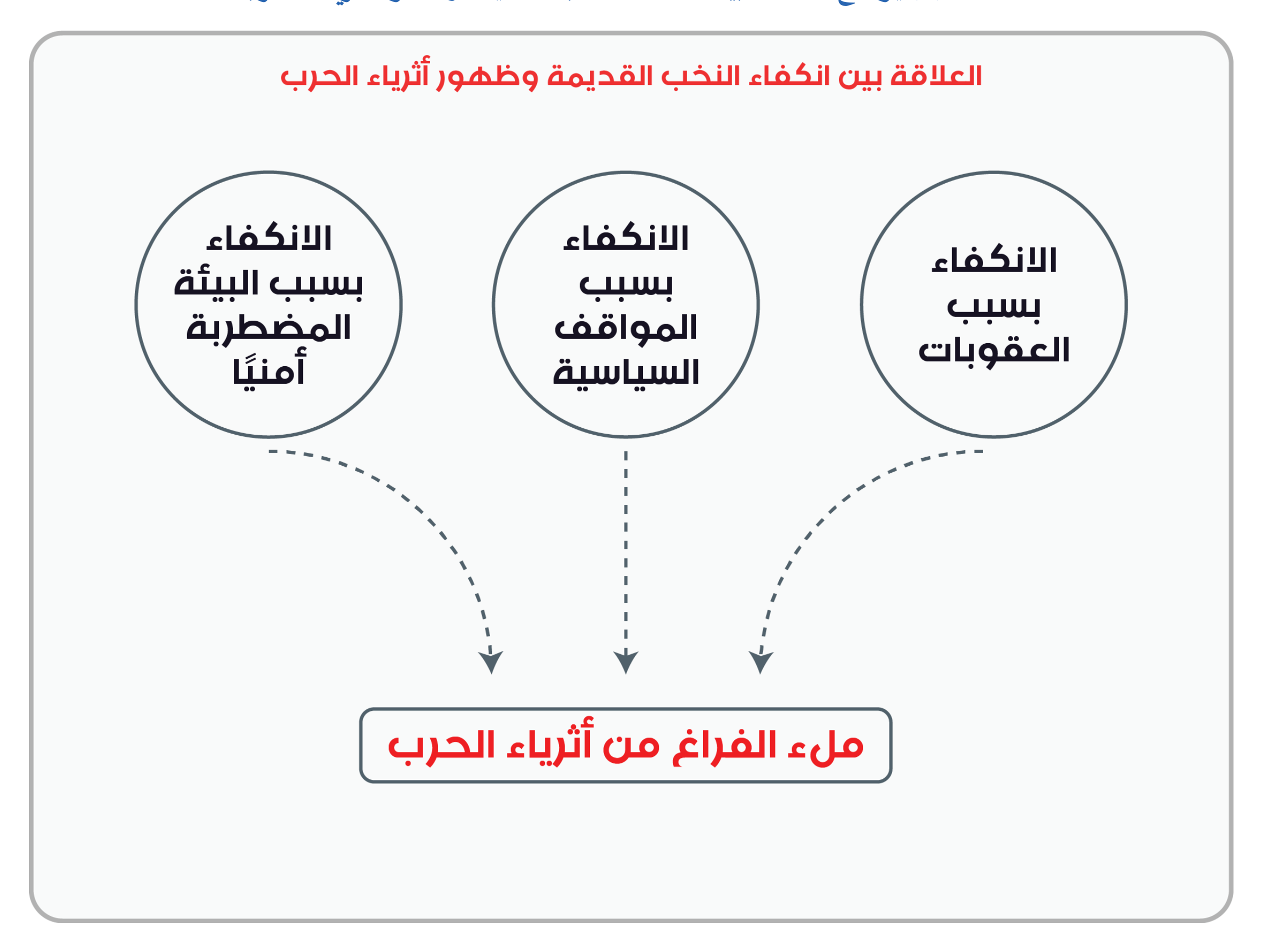
https://bit.ly/3GJhta9

وبغض النظر عن دقّة الأرقام لصعوبة إحصائها، وعدم الربط النهائي بين أعداد رجال الأعمال الخارجين من سورية، وإغلاق استثماراتهم فيها، فإن الثقوب والفجوات الحاصلة في الاقتصاد السوري أسهمت إلى حد بعيد في دفع أثرياء الحرب إلى احتلال مواقعهم التالية.

وبشكل ما، فإنّ العوامل التي أدّت إلى حدوث فراغات في هيكلية النخب الفاعلة في سورية، كالمواقف السياسية والتخوف من العقوبات والحالة العنفية الكابحة للاقتصاد الطبيعي، هي العوامل التي سرّعت نموّ النخب الجديدة القائمة على الولاء السياسي واستغلال البيئة العنفية، كأساس لتراكم ثرواتها، وعدم اكتراثها بالعقوبات الخارجية، لكون ثرواتها المستحدثة ضمن الشبكات الداخلية للاقتصاد السوري.



الشكل (1) يوضح العلاقة بين انكفاء النخب القديمة وصعود أثرياء الحرب



ج-التحكم في التدفق السلعي من النظام وإليه (ارتفاع دور النقل في التجارة الداخلية)

لعب التحكم في التدفق السلعي، من «سوريا المفيدة» وإليها، وهي المنطقة الأعلى عدديًّا والأكثف سكانيًّا، دورًا بارزًا في صعود أمراء الحرب وتراكم ثرواتهم السريع؛ فمع ارتفاع مخاطر النقل لتأمين الاحتياجات الضرورية للسكان وللنظام، تحولت كل من الجهات الناقلة، والحواجز الطرقية المشرفة على تمرير البضائع إلى أهمّ فاعلين مؤثرين في عملية التجارة الداخلية، حيث تحوّلوا إلى مراكز جباية إتاوات لصالح متنفذين كبار، وأهمّهم حواجز الفرقة الرابعة بقيادة ماهر الأسد الذي امتلك قرابة 500 حاجز في مختلف أنحاء سورية.

وفيما اكتفى غالبية المستوردين من الخارج بدفع إتاوات الطرق لضمان سلامة بضائعهم، ووصولها إليهم، تحكم النظام في شبكات الموردين الداخليين وفي هويات أفرادها المختارة بعناية أمنية فائقة، وخصّ أفرادًا محددين بحقوق توريد المواد الأساسية، وعلى رأسها النفط والحبوب، حيث مُنح نقلها من الجزيرة إلى دمشق لحسام القاطرجي، ومُنح استيراد السكر لطريف الأخرس، وهو قريب زوجة بشار الأسد: أسماء الأخرس التي باتت تهيمن على تجارة معظم المواد الغذائية، ومنها زيوت الطعام التي يشترك في احتكار

استيرادها كلٌّ من سامر الفوز، وعصام أنبوبا، المشمولين برعايتها أيضًا[43]، وخضع الدخان الأجنبي طوال فترة الحرب لاحتكار شبكات التهريب التابعة لماهر الأسد، الذي أخضع بدوره شركة التبغ الوطنية لآليات التوزيع، عبر وكلاء حصريين يتبعون له، فضلًا عن تحكمه في تجارة الحديد والخردة، عبر ذراعه المعروف محمد حمشو[44].

وبدرجة أقلّ احتكارًا، حُصِر استيراد التجهيزات الكهربائية بأشخاص محددين، ويعتمد أسلوب الاحتكار على منح التسهيلات والامتيازات للشخص المطلوب، في الوقت نفسه يشهد تجار المادة الآخرون سلسلة من الإجراءات التقييدية والمضايقات الشديدة التي تعمل على إخراجهم من السوق قسرًا. حتى الخضار والفاكهة شهدت في توريداتها الدورية عمليات اصطفاء لمورديها الأكثر ولاء وقدرة على نفاذ الحواجز.

هيأت التفاهمات بين كبار الناقلين المعتمدين من النظام، وبين الحواجز المسيطرة على الطرقات، عناصر تنامي القوة والثروة لدى الطرفين، فإدارة عمليات نقل النفط التي نفذها القاطرجي لصالح جورج حسواني الذي أبرم تفاهمات مع (داعش)، أهلته لاحقًا لاعتماده بديلًا عنه، وانتقاله من صفة الناقل الذي يمتلك 300 صهريج[45] من أصل ألف صهريج تعمل لصالحه[46]، إلى صفة الناقل والمورد الرئيسي، ليتحول بذلك إلى واحد من الأقطاب الاقتصادية الجديدة في سورية، وبالمثل، أدى تنظيم الإتاوات الطرقية وإخضاعها لمركزية الإشراف والجباية، كما في حالة أبو علي خضر، كممثل لمصالح الفرقة الرابعة، إلى انتقاله في سنوات معدودة من بائع دجاج بسيط إلى أحد المتحكمين في الاقتصاد السوري.

مكّن التحالف الثنائي المتنامي بين «الناقل، والحاجز العسكري»، من التحكم في كميات التدفق السلعي، وخلق الأزمات الناجمة عن شح المواد، بما يعني توظيفها لاستغلال الفوارق السعرية لصالح الطرفين، فارتفعت الإتاوات طردًا مع مستويات الحاجة للمادة العابرة وندرتها في الأسواق. ومع مستويات التربح العالية، انتقل التفاهم الثنائي (ناقل، حاجز) إلى ثلاثي، (ناقل، حاجز، تاجر)، وكثيرًا ما أفضت الظروف في مناطق النظام، مع تراكم الثروة لدى (الناقل، والحاجز)، إلى تقليص دور التاجر بالدخول معه كشريك، أو لعب الدور بدلًا عنه، فانتقل القاطرجي الذي أدى دور الناقل لصالح تجار آخرين، في تزويد مدينة دير الزور

(43) - انظر: منصور حسين، مسؤولو النظام يكذبون بعضهم بسبب فضيحة أسماء محتكري الزيوت، أورينت نت، 2021/11/1، شوهد في 2022/2/8:

https://bit.ly/3EMi5ur

(44) - محمد حمشو هو أحد رجال الأعمال الذين استولى ماهر الأسد مباشرة على شركاته وعلاقته بماهر الأسد واضحة حتى قبل الحرب. وهو من أسرة فقيرة، وارتبط ظهوره بعلاقة مع مضر حويجة منذ عام 1995، ثم انتقل إلى رعاية ماهر الاسد في نهاية التسعينيات (واجهة وذراع) وأثناء الحرب تحوّل الى حوت تجارة الخردة والحديد والعقارات في المناطق المدمرة، ولم تتضح بعدُ تداعيات التهميش الأخير الذي عبرت عنه إزاحته من انتخابات مجلس الشعب.

(45) - انظر: عبد الله العلي، مجموعة القاطرجي لنقل النفط في سوريا، نشاط لا توقفه الحدود والصراعات، نورثن سيريا أوبزيرفر، 2018/3/10، شوهد في 2022/1/9:

https://bit.ly/3M602mc

(46) - المصدر نفسه.



المحاصرة بالمواد الغذائية، إلى دور الناقل والتاجر مستغلًا علاقاته المميزة مع حواجز النظام وداعش[47].

ولعب التدفق السلعي دورًا في ضبط الصراع القائم، حيث إن اشتداد الحصار أفضى في العديد من الحالات إلى تصعيد عسكري، فمع سيطرة النظام على أنفاق برزة والقابون عام 2017، وإغلاقه لمعبر مخيم الوافدين القريب من حرستا على الأوتوستراد الدولي بين دمشق وحمص، الذي كان يزود مناطق حرستا ودوما بمعظم احتياجاتها، أحكم الحصار على الغوطة الشرقية، ففتحت «أحرار الشام» و«فيلق الرحمن» المعركة التي سيطروا فيها على إدارة المركبات في حرستا، ووصلوا إلى تخوم العباسيين في دمشق، ليدرك النظام خطأه التكتيكي، ويفتح بعض المعابر[48]، ولكن بأسعار مضاعفة عن السابق.

(47) - انظر: **منظمة مع العدالة**، شبكة رجال الأعمال لتمويل النظام السوري والتحايل على العقوبات الدولية، ط1، 2020 ص 63
https://bit.ly/3M5ocND

(48) – انظر: أوس المبارك، ما الذي حدث في الغوطة الشرقية؟ الجمهورية نت، 2018/6/24، شوهد في 2022/2/1:
https://bit.ly/3vk6LDb

ثانيًا: النشأة الهجينة لأثرياء الحرب في سورية

شكّل مفهوم أمراء الحرب المرتبطين بالنظام مصطلحًا دلاليًا قارب التصورات العامة له، دون مطابقتها فعليًا، فلم يكن نفوذهم الفعلي بديلًا عن نفوذ النظام، أو مستقلًا عنه، أو خارج إرادته، ولم تكن حيثياتهم المناطقية سوى امتداد لرغبته في استثمار الضعف الآني لقواته المسلحة واقتصاده المنهك، فتشكلوا كأذرع وكيانات موضعية ضمن تكتيك يحقق منافع تبادلية على صعيدي السيطرة والمال، ويعمل على ملء الفراغ الناشئ، باستثمار وجودهم الآني.

وفي هذا السياق، خضعت آليات صعود أفراد الشريحة الجديدة من أثرياء الحرب لمزيج متلازم من الولادة، والاستيلاد، والاصطفاء الأمني، وانتظمت فعليًا في إطاري التمويل الذاتي للحرب، وضبط الهوامش المالية الممنوحة لصغار عناصر الميليشيا، بالتزامن مع التنامي المزدوج لوظائفها التربحية والقتالية معًا.

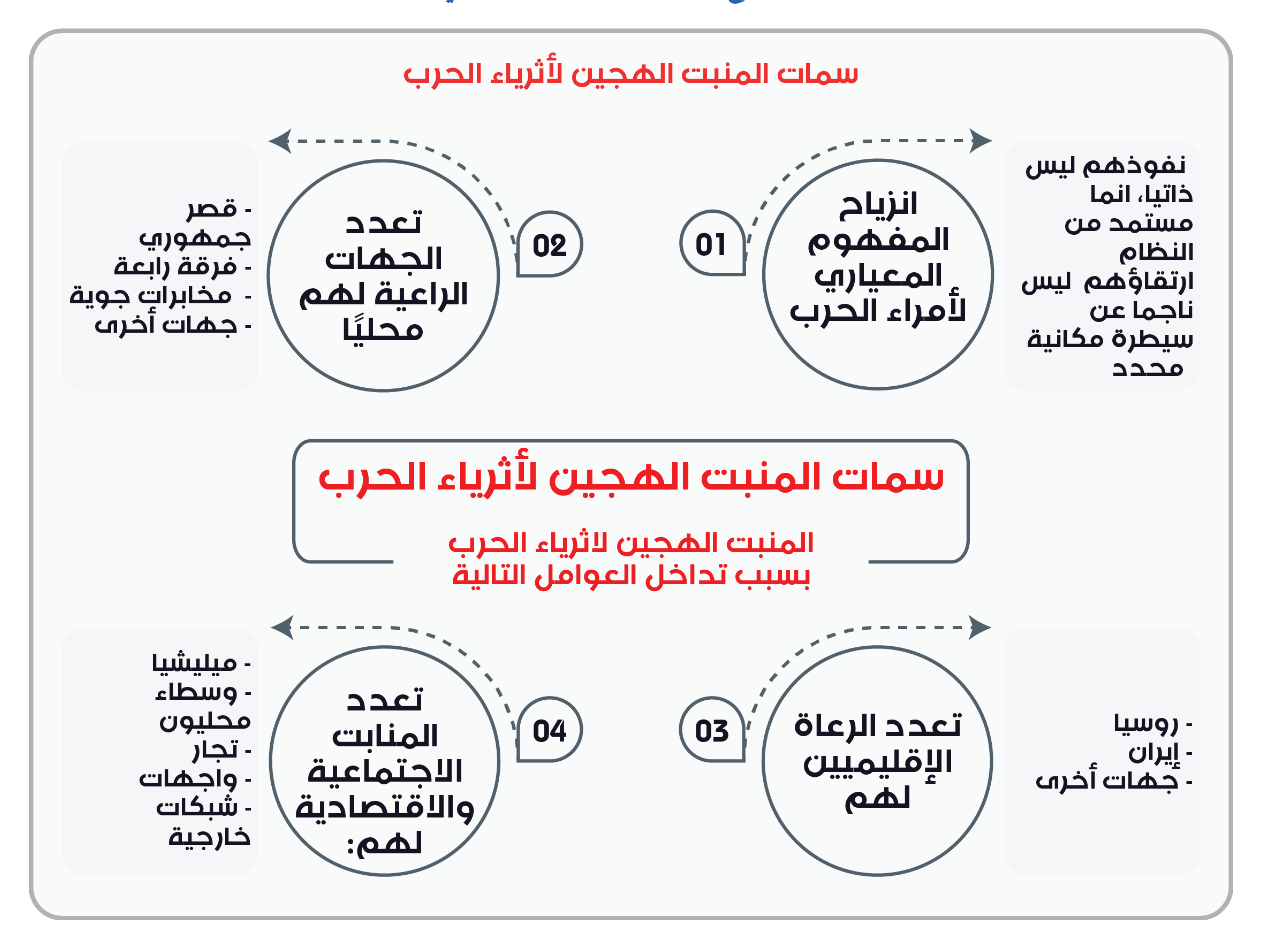
ونجم عن هذا الانزياح المحليّ في مصطلح «أمراء الحرب» تبايناتٌ، أدت إلى حالة هجينة لولادة أفرادها، فتعدد منبتهم الاجتماعي والاقتصادي، واختلفت عوامل صعود كل منهم وظروف نشأته، حيث تشكل بعضهم من الدور الميليشياوي المباشر (مثل أبو علي خضر، والقاطرجي)، وارتقى آخرون لعبوا دور الوسيط المحلي في بيئاتهم ومجتمعاتهم، مستغلين ظروف الحرب، وبالتحديد عبر التعاون مع الميليشيا، (مثل محيي الدين المنفوش، وعامر خيتي)، ونمت شريحة من التجار الصغار إلى مرتبة «الحيتان»، بحسب التعبير المحلي (أمثال، سامر الفوز، وسيم القطان، وسامر الدبس المرتبط مع ماهر الأسد بشراكات تجارية[49]). وهو الأمر الذي لم يكن ممكنًا أو مسموحًا وفق تركيبة الاقتصادي السوري ما قبل الحرب، وقفزت فجأة إلى الواجهة أسماء جديدة بلا تاريخ أو معرفات اقتصادية، وامتلكت شركات ومواقع كانت حكرًا على الدائرة الضيفة من النخبة الاقتصادية السابقة، ما يؤكد كونها واجهات لمالكين معروفين (أمثال يسار إبراهيم، ولينا كنانة، وزوجها همام مسوتي، وأحمد خليل).

---

(49) - سوسن الشاعر، صراع روسي إيراني داخل عائلة الأسد، صحيفة الشرق الأوسط 2019/3/10، شوهد في 2022/2/11:
https://bit.ly/3vocVC5

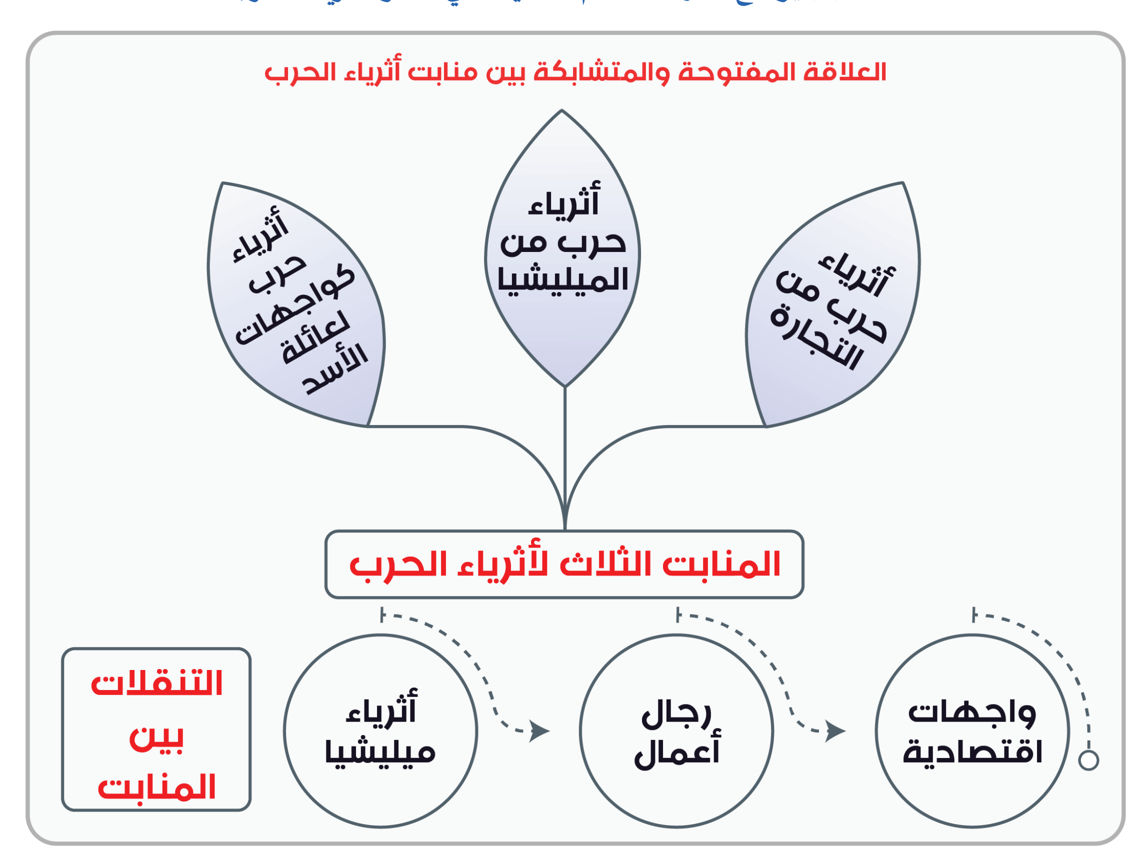


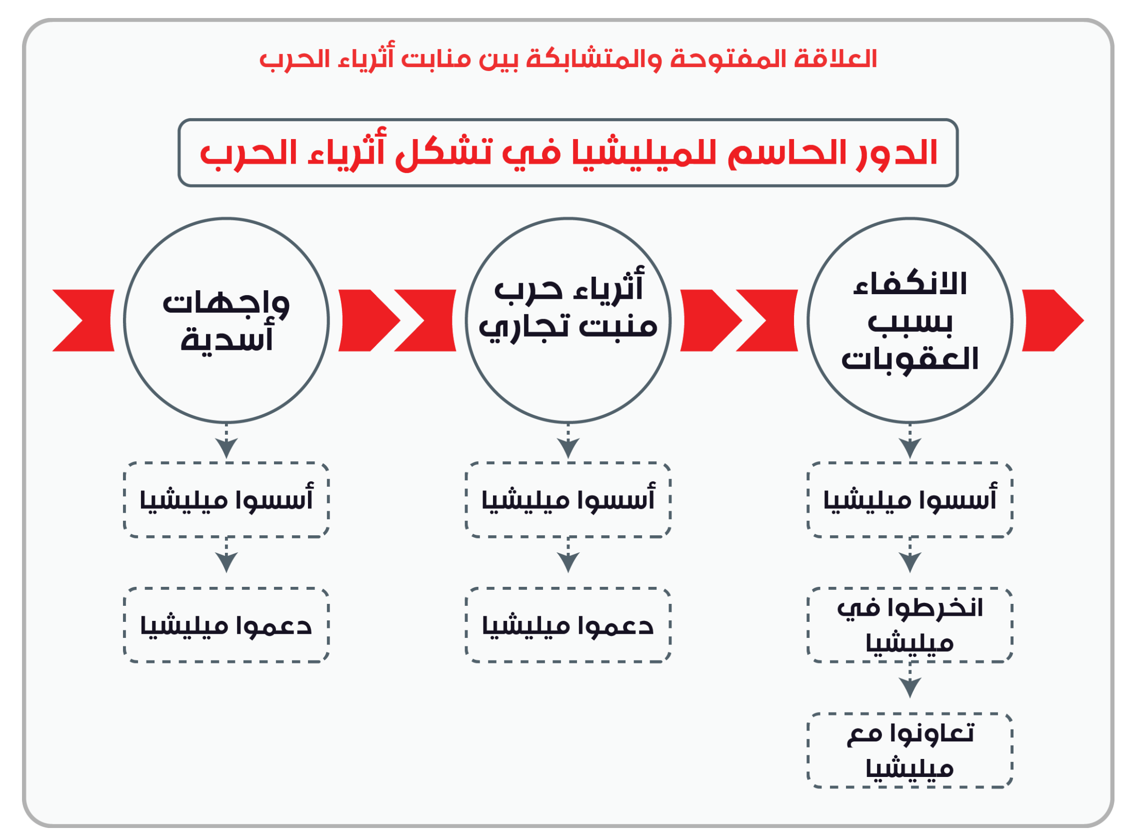
الشكل (6) يوضح سمات المنبت الهجين لأثرياء الحرب



وإذا كانت عوامل النشأة والمنبت قد قسمت الصاعدين من أثرياء الحرب المحليين، إلى ثلاث فئات رئيسية حددها شكل صعودهم، ومنحت لأفراد كل منبت فيها خصائص مشتركة، فإنها لم ترسم حدودًا فاصلة ونهائية بين المنابت الثلاثة، وغالبًا ما تقاطعت وظائفها وأدوارها، وانتقل أفرادها من موقع إلى آخر في مسارات صعودهم وتراكم ثرواتهم، قبل أن يُعتمدوا كأقطاب ويُدرجوا في هيكلية الاقتصاد السوري الرسمي، فانتقل الأثرياء البارزون من عالم الميليشيا ببساطة شديدة، إلى عالم رجال الأعمال، بالبساطة التي أنشأ فيها رجال أعمال معروفون ميليشيات أو شكّلوا الداعم الرئيسي لها. ومن كلا المنبتين، تقاطعت وتكوّنت أبرز الواجهات الاقتصادية المعروفة لعائلة الأسد، وفي الحالات المرجعية الثلاث لمنابت أثرياء الحرب (ميليشيا، تجارة، واجهات) كان للميليشيا الدور الحاسم والأبرز فيها.

الشكل (3) يوضح الدور الحاسم للميليشيا في صعود أثرياء الحرب







يمكن للقواعد المتّبعة في الاقتصاد السوري وارتباط بنائه الهرمي بمفاصل القوة في السلطة المركزية، وبالتحديد قمة الهرم، أن تفسّر، بشكلٍ ما، أسباب المرونة التي سمحت باستبدال أقطاب الاقتصاد العليا منها، بحلقات جديدة وافدة من أثرياء الحرب الجدد، وأن تسمح بالتنقلات والتبدلات الحاصلة فيها دون التخوف من ارتدادات حاسمة، وذلك بسبب الطبيعة الفاعلة لعلاقة الثروة بالنفوذ في سورية، فإقصاء شخصية كبيرة مثل رامي مخلوف، من المشهد الاقتصادي السوري، بكل قوته الاقتصادية ودلالاته والسياسية والعائلية ودوره الاجتماعي وعلاقاته الدولية، لم يكن ممكنًا، لولا تلك الخصوصية في علاقة الثروة بالنفوذ، كتابعة له ومنبثقة عنه، تلك التبعية التي تضفي مزيدًا من الغموض على الأدوار الفردية لأثرياء الحرب الجدد ومواقعهم الفعلية وتنقلاتهم بين المنابت المتعددة، بمقدار ما تشرحها أيضًا.

وشكل مفهوم الميليشيا في سنوات الحرب المفتاح الأبرز للنفوذ، فلم يكن لأثرياء الحرب القادمين من عالم التجارة أن يكبروا خارج دائرة التعاون الفعلي والدعم المالي والمادي مع عالم الميليشيا، فأسس بعضهم ميليشيا خاصة به، تحت قناع شركات الحراسة الأمنية، لكنها أدت وظائف قتالية، وبالأخص حول المنشآت النفطية، كما حصل في حقل الشاعر الذي تولت حمايته مجموعات جنّد أفرادَها رامي مخلوف، كموظفين في شركة قاسيون للحراسة الأمنية، جنبًا إلى جنب مع أفراد ميليشيا تتبع لجمعية البستان[50]، وقاتل أفراد شركات أمنية أخرى في معارك مع الفرقة الرابعة، ضد المعارضة، لحماية بعض حقول الغاز في شرق سورية[51]، كما أسهمت في عمليات الترفيق والإتاوات الطرقية.

وارتبط تجّار آخرون بميليشيات قائمة على الأرض، قدّموا لها التمويل أو الرعاية، كتعبير عن ولائهم التام، وترجمة عملية لانغماسهم الفعلي في الصراع، وهو شرط لازم لقبولهم في نادي الحظوة الجديد، فعلى سبيل المثال، «موّل سامر الفوز ميليشيا قوات الدرع الأمني العسكري، تحت إشراف إدارة المخابرات الجوية» [52]، كذلك سيطر وسيم القطان على أحد الحواجز التبادلية مع الغوطة الشرقية، ومعابر التهريب[53]، وبالمثل، موّل جورج حسواني مجموعة درع القلمون المؤلفة من ألفي مقاتل في المناطق المجاورة للحدود اللبنانية[54]، ويندر، إلى حد الاستحالة، بعيدًا عن توفر المعلومات الكافية، بروز أي من الأسماء

(50) - انظر: النظام يصرّ على استهتاره بمؤيديه ويشيع 20 جثة مجهولة الهوية من حقل الشاعر، زمان الوصل، 2014/11/2، شوهد في 2022/1/13:

https://bit.ly/3Owtp2s

(51) - انظر: منهل باريش، الشركات الأمنية الخاصة في سوريا: وكلاء جدد في خدمة النظام، MIDDLE EAST DIRECYIONS, 28/7/2020، شوهد في 2021/12/27:

https://bit.ly/39dpQhl

(52) - انظر: سلام سعيد، جهاد يازجي، إعادة اعمار سوريا إعادة اندماج وبناء سلام عادل اجتماعيًا أم ترسيخ للنظام، سلام سعيد، FRIEDRI-HC EBERT STIFTUNG,. 12/2018، شوهد 2022/12/16:

https://bit.ly/3k2NvTE

(53) - المصدر نفسه.

(54) - انظر: أورورا سوتيمانو، النخبة الاقتصادية السورية، شبكات الحظوة واقتصاد الحرب، أصوات مدنية، ت مايا ميلاني، 2016/11/16، شوهد في 2021/12/15:

https://bit.ly/3K6AMKZ

التجارية الصاعدة في زمن الحرب، بمعزل عن ارتباطها المباشر بمجموعات من الميليشيا، هنا أو هناك.

وبشكل واقعي، فإن الميليشيا، بدلالاتها السياسية والأمنية وبسطوتها الواقعية خلال الحرب، تحولت إلى المعبر الرئيس إلى نظام الحظوة الجديد، وهو نظام تتعدى فيه حدود التباين مع نظام الحظوة القديم، مصفوفة الأسماء المندرجة فيه وتراتبيتها، إلى طبيعة العلاقة مع النظام المكوّن لها، وتحديدًا في غياب المسافة الفاصلة بين رجال أعمال النظام الجدد، والنظام ذاته[55] .

ومع أن المسافة الفاصلة بين النظام ونخبه الاقتصادية القديمة لم تكن خارج إطاره الشكلاني والمحدود سابقًا، فإن تشكيل النخب الجديدة، إضافة إلى ما يحمل من مضامين عقابية، ردًا على خروج رجال أعمال من بيت الطاعة الأسدي، أو على عدم الولاء الكافي، أتاح للنظام، وللعائلة الحاكمة بالتحديد، فرصة الاستيلاء على مزيد من أموال واستثمارات العديد من النخب السابقة.

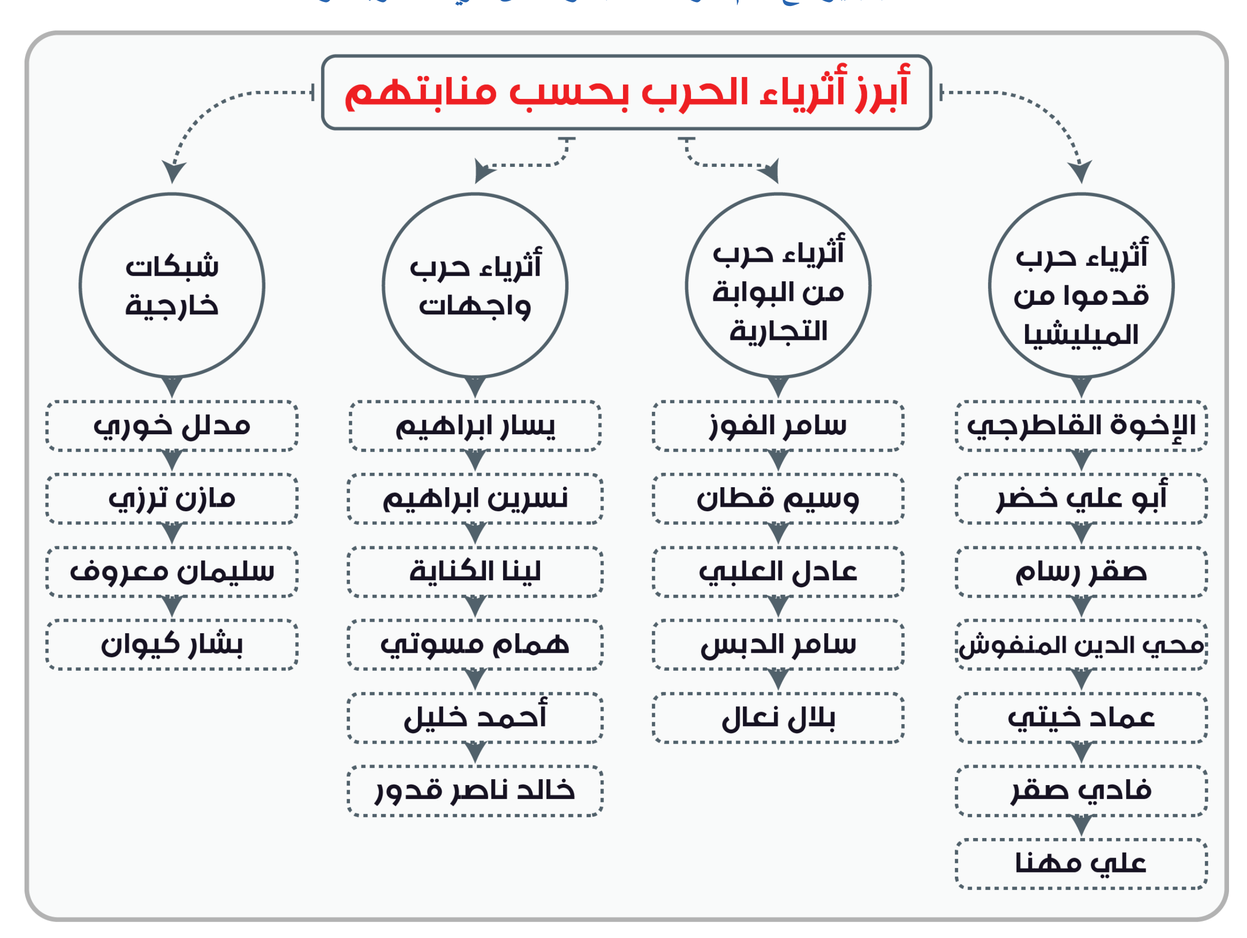
(55) - انظر: خالد الجرعتلي، عام على قانون «قيصر».. أثرياء يزدادون ثراء في سوريا، عنب بلدي، 2021/6/20، شوهد في 2022/1/18:
https://bit.ly/3sqwEPN

ثالثًا: أبرز أثرياء الحرب وفق منابتهم

يمكن تصنيف منابت أثرياء الحرب في أربع مجموعات:

1. أثرياء حرب من الميليشيات
2. أثرياء حرب من البوابة التجارية
3. أثرياء حرب هم واجهات لكبار المسؤولين (بشار الأسد وماهر الأسد وأسماء الأخرس)
4. أثرياء حرب من الشبكات الخارجية

الشكل (7) يوضح أهمّ أفراد كل مجموعة من أثرياء الحرب هؤلاء:



أ- أثرياء الميليشيات:

لعبت الميليشيا دورًا مزدوجًا في إنتاج أثرياء الحرب، ففي حين برزت الشريحة الأولى من محاربين انخرطوا في القتال الدائر، مثل أبو علي خضر والإخوة القاطرجي وصقر رستم، برزت الشريحة الثانية من وسطاء وتجّار محليين، لم يعرف عنهم اشتراكهم في القتال الدائر، ولم يكوّنوا ميليشيات خاصة بهم، واكتفوا بتوظيف صلاتهم بالميليشيات القائمة، ومكنتهم مواقعهم من إقامة تجارة تبادلية بين الميليشيات المتحاربة، أو من القدرة على تمرير البضائع في الاتجاهين، رغم الحصار، ومن أبرز أفراد هذه الشريحة محيي الدين المنفوش، وعامر تيسير خيتي، في الغوطة الشرقية.

وتكوّنت الشريحة الأولى من الأفعال الحربية والعنفية، إذ قاموا منذ بداية الحرب بتأسيس مجموعات قتالية تابعة لهم، بالتعاون مع الأجهزة الأمنية، وعملوا على توظيف واستثمار العنف الدائر في البلاد لجني أرباح طائلة ومراكمة ثروات هائلة، واستخدموا كل الأساليب المتاحة من عمليات الخطف والنهب والتهريب عبر المعابر (الداخلية، والحدودية، والبينية مع الأطراف الأخرى)، وتجارة المخدرات والآثار والأسلحة، وفرض الإتاوات والرسوم غير القانونية على مرور البضائع والأشخاص، واحتكار التجارات البينية مع المناطق المعزولة والمحاصرة، ومن عمليات تحويل وتصريف الأموال، وتجارة العقارات المهدمة.

وحظي أفراد هذه المجموعة برعاية مباشرة من أهمّ الجهات الأمنية الفاعلة في النظام السوري، وهي القصر الجمهوري والفرقة الرابعة والمخابرات الجوية، وغالبًا ما ارتبطوا منذ نشأتهم بواحدة منها أو أكثر، فعلى سبيل المثال، يكشف مقربون من أبو علي خضر أنه ما زال يواظب على ثلاث زيارات أسبوعيًا، يحمل فيها كميات ضخمة من المال بسيارات ترافقه إلى كلٍّ من أسماء الأخرس (أسماء الأسد) وماهر الأسد، وأحد الأفرع الأمنية.

ووفق مصادر محلية، يتولى مندوبون من الفرقة الرابعة المشاركة في المهام الموكلة لحسام القاطرجي، المحسوب على القصر الجمهوري، والمقرب من بشار الأسد شخصيًّا، وتتوزع مهام مندوبي الفرقة الرابعة بين المشاركة في مرافقة قوافل القاطرجي النفطية، وحراسته الشخصية، ويحظى الموفدون إلى القاطرجي من الفرقة الرابعة بامتيازات مالية سريعة، وتمنح لهم سيارة من القاطرجي. ويمكن النظر إلى وجود مندوبين من الفرقة الرابعة لدى القاطرجي وفق دلالات تتعدى حاجته إلى الحماية الشخصية أو المؤازرة الأمنية، إلى دلالات الآباء المتعددين لأفراد هذه المجموعة، وتذكيرهم بضرورة الخضوع المستمر للفاعل الرئيسي، لكونهم مجرد حالة هجينة من الشركاء أو الوكلاء، فالوجود الميليشياوي التابع للقاطرجي وأبو علي خضر، لم يخضع لعملية الإلغاء اللاحق كباقي الميليشيات، وإن كان خضع لشيء من التنظيم، فاستمرار الوظائف المنوطة بالبارزين من أفراد هذه المجموعة حتّم استمرار دورهم الميليشياوي، بشكل ما، فشركة «القلعة الأمنية» التابعة لأبو علي خضر مستمرة في وظائفها في الترفيق، ومستمرة، أيضًا، في فرض الإتاوات، وكذلك شركة المهام الأمنية التابعة للقاطرجي، ولا يختلف الأمر حين يشغل رستم صقر مدير مؤسسة الشهيد غير البعيدة عن وظائف الميليشيا، وإن ظهرت بلبوس اجتماعي وخيري.

ويعني مصطلح الترفيق إجبار القوافل التجارية وشاحنات البضائع على دفع إتاوات، مقابل السماح لها بالمرور عبر الحواجز بدون تفتيش أو مضايقات، بحجة حمايتها ومرافقتها، وهي بالأساس مهمة مناطة



بالجمارك، وفق نظام تير العالمي[56].

1. أبو علي خضر: طاهر علي خضر[57]

يمثّل خضر علي طاهر (أبو علي خضر 45 عامًا)، وهو من مدينة صافيتا التابعة لطرطوس، النموذج الميليشياوي الأوضح ضمن شريحة رجال الأعمال الجدد، حيث انبثق من العدم التجاري والاجتماعي، وأسس ميليشيا محلية تطورت مع رعاية ماهر الأسد إلى ألفي عنصر، انخرطت بقمع الشعب السوري[58]، والقتال في بعض الجبهات، قبل أن تناط بها مهام استثمار الحواجز والترفيق وحماية التوريدات النفطية ومنابعها، لضمان تدفقها إلى النظام، وعملت المجموعة تحت مسمّى شركة القلعة للحراسة الأمنية، التي رُخّصت رسميًّا 2017، ولكنها مارست مهامها فعليًّا منذ عام 2013، ويتولى صهره، إيهاب الراعي، منصب المسؤول الأمني فيها، وهي من كبريات الشركات الأمنية في سورية [59].

شكّل أبو علي خضر، الذي لم يرد ذكره في الإعلام قبل عام 2017، الذراع المالي للفرقة الرابعة التابعة لماهر الأسد، وجنى ثروته الواسعة من إدارة واستثمار الريع التابع للفرقة الرابعة، بواسطة حواجزها التي قارب عددها 500 حاجز موزعة على كامل شبكة الطرق والمعابر الرئيسية والحدودية، وقد اعتُمد منذ العام 2016 كأهم متعهدي الترفيق لدى الفرقة الرابعة[60].

وتضمن الريع رسوم الحواجز على نقل البضائع والأفراد والإتاوات المفروضة عل كامل عمليات ومفاصل الاقتصاد السوري[61]، بالإضافة إلى عملها في التهريب والتجارة البينية في المعابر الحدودية مع المعارضة، وحاز على العديد من الألقاب، ومنها «أمير المعابر»، و«غوّار حلب»، بالإضافة إلى لقب محلي في أرياف

---

(56) - نظام "تير TIR" هو نظام ترانزيت عالمي ويربط بين 68 دولة في أنحاء العالم، ويقضي بمرافقة جمركية في بلد العبور للبضائع والشاحنات بدون تحميلها أي مبالغ إضافية.

(57) - أثناء كتابة البحث، تداولت بعض المواقع ووسائل التواصل أنباءً عن هروب أبو علي خضر خارج البلاد، بـ 3 مليار دولار، مع أنباء عن اعتقال شقيقه وصهره المسؤول في شركة القلعة الأمنية التابعة له، ومن ثم اعتقاله وإعادته الى اللاذقية تحت الإقامة الجبرية، دون نفي أو تأكيد موثق، وبغض النظر عن مدى صحة الأخبار، فإن مبلغ 3 مليار دولار لا يمكن أن يُصدّق، ولكن إن صح هروبه، فهو يأتي ضمن عدم الثبات في وضع النخب الجديدة كأفراد، والتأكيد الإضافي على اعتبارهم موظفين أو واجهات، وعلاقة ذلك بالتوازنات في العائلة والحصص، أو أن الشخص المعني بالخبر قد تجاوز خطًا أحمر، أو أصبح أكبر مما يجب ويجب وضع حد له.

(58) - انظر: منظمة مع العدالة، شبكة رجال أعمال بشار الأسد،

https://bit.ly/3pnrjGV

(59) - أحمد الخليل، أيقونة شركات الترفيق لماهر الأسد.. تفاصيل خاصة عن القلعة، اقتصاد مال وأعمال السوريين، 2019/12/18، شوهد في 2022/1/6:

https://bit.ly/3Hpz2dR

(60) - انظر: أيمن دسوقي، شبكة اقتصاد الفرقة الرابعة خلال الصراع السوري، 13 Middle East Direction، 2020/1/، شوهد في 2021/12/21:

https://bit.ly/3C505dp

(61) - على سبيل المثال، تخصص الفرقة الرابعة ضباطًا يشرفون على الجمارك والموانئ ولا يمكن اتخاذ أي قرار اقتصادي حتى على المستويات البسيطة، بدون موافقة هؤلاء المندوبين وضمان حصصهم.

طرطوس «أبو الفقراء»، بسبب تقديمه بعض المعونات المحلية.

وفي دليل على تنامي نفوذه، أُجبر وزير الداخلية بشكل علني ومذل، على إلغاء تعميم سابق يفيد بمنع الجهات العامة من التعامل مع أبو علي خضر[62]، وبغض النظر عمّا يحمله تعميم المنع من صراعات محتملة بين أقطاب السلطة، فإنه يشير إلى محاولة العائلة الأسدية التستر بقناع من الضبابية والغموض على علاقتها بواجهاتها، والنأي بنفسها عنها، شكلًا، ما أوحى إلى وزير الداخلية بإمكانية ردع تغوّله، قبل أن تأتيه التعليمات الواضحة من شركاء أبو علي خضر ومشغليه بالتراجع الفوري عن التعميم.

تعميم

يمنع منعاً باتاً التعامل مع المدعو خضر طاهر بن علي والدته بديعه وردي تولد ١٩٧٦/٥/١٥م، محل ورقم القيد صافيتا الشرقيه خـ٣٥٢، أو الاتصال به بأي شكل كان، أو دخوله للوحدات الشرطية، أو استقباله لأمور شخصية في الوحدات الشرطية كافة.

قادة الوحدات مسؤولين بالذات عن حسن التنفيذ.

يرجى الإطلاع.

اللواء محمد الرحمون
وزير الداخلية

---

(62) - انظر: قضية أبو علي خضر تتفاعل.. وزير الداخلية يلغي تعميمه السابق بمنع التعامل معه سيريانيوز، 2019/3/11، شوهد في 2022/11/23:

https://bit.ly/36GmjXv



وزارة الداخلية
قوى الأمن الداخلي
إدارة التنظيم والإدارة
الرقم: ٢٩٢ / ص
التاريخ: / / ١٤٤٠هـ
الموافق: ١٠ / ٩ / ٢٠١٩م

تعميم

لاحقاً لتعميمنا رقم ٢٣٠/ص تاريخ ٢٠١٩/٢/٢٠م ، المتضمن منع التعامل مع المدعو خضر طاهر بن علي والدته بديعة وردي تولد ١٩٧٦/٥/١٥م ، محل ورقم القيد صافيتا الشرقية خـ ٣٥٢ ، أو الاتصال به بأي شكل كان ، أو إدخاله الوحدات الشرطية ، أو استقباله لأمور شخصية .

يلغى مضمون التعميم المذكور أعلاه ويتلف بمعرفة قادة الوحدات .

اللواء محمد الرحمون
وزير الداخلية

تعميم من وزير الداخلية السوري يمنع بموجبه التعامل مع خضر طاهر ثم تعميم آخر يلغيه

وشملت استثمارات أبو علي خضر العديدَ من القطاعات الحيوية، ومنها الاتصالات والسياحة والمشاريع العقارية والاستثمارية، وحاز حصرية تجارة وتوزيع التبغ والمشروبات الروحية والمياه المعدنية، مستفيدًا من سلطته وحصانته لتكريس فوارق سعرية هائلة تزيد على سعر المنتج، بين السعر الرسمي وسعر السوق الناجم عن الاحتكار والتحكم في كميات التوزيع.

ومن المرجح أنه بات يشكل نقطة تقاطع، بين أسماء الأسد وماهر الأسد، بما يعزز نظرية ارتباطه باستثمارات العائلة الأسدية كواجهة، تبدو كوريث جزئي لرامي مخلوف، ولعل الإشارة الأبرز في هذا التقاطع هي تعمّد إرسال عناصر يتبعون لشركته الأمنية، لاقتحام مكاتب (سيريتل) التابعة لرامي مخلوف، واحتلال تلك المكاتب والاستيلاء على وثائقها[63]، ضمن مسار عملية انتقالها إلى أسماء الأسد. وشملته العقوبات المتعددة الأوروبية، والأميركية عام 2020، إذ تضمنت أسماء عشر من شركاته المعروفة.

(63) - انظر: عماد كركص، صراع الأسد- مخلوف يتجدد: مرحلة الضغوط القصوى، العربي الجديد، 2021/1/12، شوهد في 2022/1/13:
https://bit.ly/35dcQ9G

2. الإخوة قاطرجي:

وهم: محمد براء قاطرجي 45 عامًا، وحسام قاطرجي 39 عامًا، ومحمد آغا قاطرجي 31 عامًا. وغالبًا ما يتركز الحديث عن أحدهم مع صعوبة الفصل بينهم، مع البروز الإعلامي الواضح لدور الشقيق الأوسط حسام قاطرجي.

بدأ الإخوة قاطرجي بمكتب تجاري[64] في دمشق، قبل الثورة، ولعبوا من خلاله دور مفتاح في العلاقات الزبائنية كوسطاء نفوذ لقضايا الفساد الصغير، كنقل المجنّدين أو الحصول على قروض من المصارف العامة، لقاء رشاوى صغيرة نسبيًا، مستفيدين من علاقات عشائرية واسعة في حلب والرقة، ورثوها عن والدهم الخياط، ومارسوا أعمالًا تجارية بقيت محدودة حتى العام 2013، حيث اعتمدهم القصر الرئاسي بتزكية من «ذو الهمة شاليش» ابن عمة بشار الأسد، لاستجرار القمح بشكل إسعافي، من صوامع الحبوب في شمال سورية، حيث يدور القتال بين فصائل المعارضة وقوات الأسد وميليشياته، إلى صوامع النظام التي كانت خاوية في ذلك الحين، وشكّلوا ميليشيا عُرفت باسم «مجموعة القاطرجي»، أسهمت في القتال الدائر، لكنها هدفت في المقام الأول إلى حماية قوافلها التجارية، واستطاعوا خلال فترة وجيزة التحوّل إلى المورد الرئيسي لقمح النظام .

ومن القمح إلى النفط، توسّع نشاطهم منذ العام 2015، فحلّوا محلّ جورج حسواني، وأسسوا شركة نقل ضمّت 300 صهريج، ونسجوا شبكة علاقات واسعة مع كل الأطراف الفاعلة على الأرض، وأبرموا العديد من الاتفاقات الحصرية لاستجرار النفط من تنظيم (داعش) ومن ميليشيا (قسد)، ومن قوات «درع الفرات»، أيضًا، عبر وسيط آخر اسمه ياسر الحزواني[65]. ولاحقًا عام 2017، حازت مجموعتهم القتالية ترخيصًا أمنيًا باسم شركة المهام الأمنية التي يشكل الترفيق واحدًا من أهم أعمالها، وتعتبر إلى جانب «شركة القلعة الأمنية» المملوكة لأبو علي خضر، من أهم الشركات الأمنية الفاعلة في سورية في مجالات الترفيق.

وبرز اسم الإخوة قاطرجي باكرًا، مقارنة باسم أبو علي خضر، فدخل حسام قاطرجي مجلس الشعب عام 2016 كرجل أعمال صاعد، وسجل اسم أخيه (براء) ضمن أعضاء مجموعة النظام في اللجنة الدستورية. وتوسعت إمبراطورية القاطرجي في مختلف القطاعات الاقتصادية، كالسياحة والعقارات وصناعة الإسمنت، وفي قطاع التعدين، والصناعات الهندسية والميكانيكية[66]، والنقل والخدمات والشركات القابضة، إلا أن أبرز مجالاتهم المستمرة تتركز في القطاع النفطي، حيث أسسوا شركة (أرفادا) النفطية عام 2018، وتملك الشركة خمس حفارات للإصلاح وحفارتين للأعماق، كما تملك مصفاتي الساحل والرصافة[67]، بالشراكة

(64) - انظر: «القاطرجي: كيف صار أولاد الخياط حيتانا»، جسر برس، 2019/2/1، شوهد في 2022/2/6:
https://bit.ly/3MbpJSC

(65) - انظر: منشق عن قسد: إيراداتها النفطية تقدر بـ 120 مليون دولار شهريًا، اقتصاد، 2021/4/19، شوهد في 2022/3/15:
https://bit.ly/3HqGG7Y

(66) - فيديو ترويجي للشركة، منشور على صفحة شركة قاطرجي للصناعات الهندسية والميكانيكية في فيسبوك:
https://bit.ly/3P6oohl

(67) - اطلع الباحث على القوانين 30/29/28/ لعام 2019 المنشورة في الجريدة الرسمية في العدد الأول، الجزء الأول الصادرة في 8 كانون الثاني/ يناير 2020، كما اطلع في نفس العدد من الجريدة الرسمية، على الاتفاقيات الناجمة عنها مع الأطراف المذكورة، وهي شركة أرفادا



مع الحكومة السورية، وكان بشار الأسد أصدر ثلاثة قوانين عام 2020، ومنها القانونان (28) و(30)، وتضمّنا المصادقة على تأسيس شركتين لإنشاء مصافي نفط، وتشارك فيهما شركة تابعة «لمجموعة قاطرجي»، وتحدد رأسمال كل شركة بـ 10 مليارات ليرة سورية، كمبلغ تأسيسي. وتضمن القانون 28 المصادقة على تأسيس «شركة مصفاة الرصافة» المساهمة المغفلة الخاصة لإنشاء وتشغيل وإدارة مصفاة لتكرير النفط الثقيل، فيما تضمن القانون رقم 30 المصادقة على تأسيس «شركة مصفاة الساحل» المساهمة المغفلة الخاصة، لإنشاء وتشغيل وإدارة مصفاة لتكرير النفط المتكاثف.

والأمر اللافت والمثير للاستغراب، وخلافًا للعادة المتبعة سابقًا بأن تكون حصة القطاع العام في القطاعات التشاركية، بنسبة 51%، كانت حصة الحكومة في كلتا الشركتين لا تتجاوز نسبة 15% من أسهم الشركة، ممثلة بوزارة النفط والثروة المعدنية، والمؤسسة العامة لتكرير النفط وتوزيع المشتقات النفطية، فيما يملك الطرف الثاني «شركة أرفادا النفطية» (للقاطرجي) 80 % من أسهم الشركة، وحصلت شركة (ساليزار شبينغ) اللبنانية على النسبة المتبقية، وهي 5% من الأسهم[68].



فيديو ترويجي للشركة الهندسية والميكانيكية الخاصة بالأخوة قاطرجي
https://2u.pw/Rt4bQ

النفطية، وشركة ساليزار شبينغ اللبنانية، والأطراف الحكومية ممثلة بوزارة النفط، والمؤسسة العامة لتكرير النفط وتوزيع المشتقات النفطية.

(68) - انظر: المصادقة على تأسيس شركتين برأسمال 20 مليار ليرة سورية لإنشاء مصفاتي نفط، من هم، 2020/1/9 شوهد في 2022/1/6:
https://bit.ly/3sikrMO
ومن الجدير بالتوضيح أن المصافي المذكورة هنا هي مصافٍ صغيرة بطاقات إنتاجية محدودة لا تتجاوز مئات البراميل أو بضعة آلاف يوميًا، فالمصافي استثمار مكلف من جهة ولا يوجد إنتاج نفطي يفيض عن طاقة مصفاتي حمص وبانياس الحكوميتين، وطاقتهما مجتمعة نحو 240 ألف برميل نفط خام يوميًا، ولكن يبدو ان هاتين المصفاتين قد أنشئتا من أجل خلق أرباح إضافية لعائلة الأسد، فالقاطرجي هو أحد الوجوه، وسيستخدم القاطرجي بعض النفط الذي ينقله من مناطق سيطرة (قسد)، وبعض المكثفات المرافقة للغاز المنتج في حقول المنطقة الوسطى.

وبذلك، يُعدّ القاطرجي الوحيد الحاصل على ترخيص رسمي في القطاع الخاص لتكرير النفط في سورية، كما أسسوا شركة (أمان القابضة)، ومجموعة القاطرجي الدولية، والعديد من الشركات والاستثمارات الأخرى، ومثل أبو علي خضر في الساحل، يحوز القاطرجي أيضًا لقب «أبو الفقراء» في حلب. وشملت العقوبات الأخوين براء وحسام بالاسم، إضافة إلى كيانات تابعة للعائلة، لكن اسم الشقيق الأصغر محمد آغا القاطرجي ما يزال محيدًا عنها، بالاسم، وإن كانت تتصل به عبر الكيانات المعاقبة.

3. صقر رستم:

ينحدر صقر رستم (47 عامًا) من حمص، خربة الحمام، وهو مهندس عُرف بفساده قبل الثورة، وطُرد من منصبه كمدير استثمار، ومسؤول مشتريات في المنطقة الصناعية في حسيا، ونُقل إلى قسم الخدمات الفنية في بلدية حمص حتى العام 2011.

مع اندلاع الثورة، انتسب رستم إلى «جمعية البستان»، وشارك في قمع التظاهرات، ثم أسس منتصف عام 2011 نواة ميليشيا الدفاع الوطني، بدعم من خاله اللواء بسام حسن، المستشار الأمني لبشار الأسد، وشاركت مجموعاته البالغة 10 آلاف عنصر في القتال[69]. ومارس كل أساليب الإجرام والقتل والسلب والخطف والتشبيح وإقامة الحواجز، ونُقل إلى دمشق عام 2013، بسبب فضيحة تقاضيه لرواتب آلاف الأسماء الوهمية المسجلة في الدفاع الوطني، وتولى منصب الأمين العام لقوات الدفاع الوطني، وأسس مؤسسة الشهيد الخيرية، بدعم من أسماء الأسد، للوقوف في وجه جمعية البستان المتنامية، وأسس شركة أيلول للاستثمار السياحي، وأدار بصفة شريك شركة «داماس للاستثمار والتطوير العقاري»، وامتلك العديد من المطاعم والمحلات التجارية[70]، وعُرف عنه تملكه للعقارات المهمة، بالغصب والإكراه. وبقي بمثابة «حاكم حمص المطلق»[71] حتى بعد نقله إلى دمشق، وشملته العقوبات كاسم سوري وحيد ضمن لائحة عقوبات أميركية على كوريا الشمالية.

4. محيي الدين منفوش:

ارتقى اسم محيي الدين منفوش، الذي يمثل أبرز أسماء هذه الظاهرة، من تاجر محلّي بسيط في بلدة «مسرابا» يمتلك مزرعة أبقار متواضعة ومعمل أجبان صغيرًا، إلى المورد الرئيسي لمعظم المواد الغذائية الرئيسية في الغوطة الشرقية، في زمن الحصار، وذلك بعد اعتماده[72] من قبل النظام، فأبرم الاتفاقيات مع حواجز النظام التي سمحت له بتمرير كميات غذائية معينة، لقاء إتاوة للحواجز على كل كيلو بمقدار

(69) - وثيقة 7: صقر رستم، حاكم حمص المطلق، الدفاع الوطني.. سوريتنا، 2014، شوهد في 2022/1/8:
https://bit.ly/3HGBPQc

(70) - انظر: بسام يوسف، التعفيش يطول الذاكرة.. المدرسة القليجية في دمشق تصبح مطعمًا، تلفزيون سوريا، 2021/5/11، شوهد 2022/1/3:
https://bit.ly/3JYxv03

(71) - زمان الوصل، وثيقة سرية تكشف جرائم الدفاع الوطني في حمص، سوريتنا، 2014، شوهد في 2021/1/25: https://bit.ly/3HqIca3

(72) - بالوقائع والأرقام سيرة ذاتية لأحد حيتان الحرب من الغوطة الشرقية إلى تركيا، زمان الوصل، 2020/1/21، شوهد في 2022/2/6:
https://bit.ly/3tfioZe



4 دولار تقريبًا، وبلغ آخر العقود المتفق عليها عام 2017 مع حواجز النظام 5 آلاف طن، تم إدخالها خلال شهر بواقع 160 طن يوميًّا من خلال حاجزي الوافدين، والمليحة[73] .

وشملت اتفاقات المنفوش مع حواجز النظام تمرير منتجاته التي توسّعت كثيرًا، من الأجبان والألبان، إلى العاصمة دمشق وكل مناطق النظام، وحاز المنفوش حرية حركة واسعة وحصانة عالية ضمن مناطق الميليشيات في الغوطة، سمحت له بالتحرك الشخصي ضمن موكب مسلّح يتألف من عدة سيارات، دون تحديد لشكل علاقاته الشخصية والتجارية معها، على الرغم من فرضه لأسعار سلع تزيد بواقع عشرين ضعفًا عن أسعارها المتداولة في البلاد[74]، فضلًا عن رداءتها وانتهاء صلاحيتها، في كثير من الأحيان.

علاقة المنفوش الوطيدة بالنظام سمحت له بحريّة التحرك خارج البلاد؛ فأسس شركات ومعامل في تركيا وأوروبا[75]، بدءًا من عام 2016، ومن المرجّح أن تلك الحريّة تندرج ضمن مسعى النظام في توسيع شبكاته الخارجية التي تقلّص كثير منها بفعل العقوبات والتقارير الإعلامية، وأسهم المنفوش في الوساطة بين النظام والميليشيات عام 2018 لاستعادة الغوطة[76]، وعند استعادة النظام لها، حصل على عقود لإزالة الأنقاض فيها[77]، وبرز اسمه كواحد من أبرز مشتري العقارات المهدمة في الغوطة، ووصل نفوذه المتنامي مع عامر خيتي، إلى تعهّد حملة بشار الأسد الانتخابية في الغوطة، بكلفة ملياري ليرة، فحضرها الأخير شخصيًّا وأدلى بصوته الانتخابي فيها.

5. عامر خيتي (42 عامًا):

يبدو ارتقاء عامر خيتي، مواليد 1980، إلى مصاف أثرياء الحرب أكثر ضبابية من سواه، حيث انتقل من مهنٍ بسيطة ومتنوعة قبل الحرب، ومنها تجارة المواشي في دوما، إلى تجارة الخضار بعد الحرب، وبعد حصار الغوطة، ارتبط بعلاقةٍ مع حاجزين يشكلان بوابة الغوطة المحاصرة من دمشق: «مخيم الوافدين والمليحة»، واستغل النزوح والهجرة ليتوسع في أعماله إلى شراء العقارات وبيعها، وفتح العديد من مكاتب الصرافة في الغوطة، بتنسيق مع الإيرانيين، وروّج المخدّرات بالتعاون معهم[78]، وبين عامي 2014-2016،

---

(73) - انظر: انفراج غير مسبوق في أزمة الغوطة الشرقية... ماذا تغير؟ سناك سيريان، 2017/11/28، شوهد في 2022/1/25:
https://bit.ly/3MvbAPv

(74) - انظر: أويس عقاد، محي الدين المنفوش من عراب حصار الغوطة إلى مستثمر نظيف في أوروبا، عنب بلدي، 2020/1/12، شوهد في 2022/1/21:

https://bit.ly/3IEVuRG

(75) - المصدر نفسه.

(76) - انظر: خاص عنب بلدي: المنفوش يزيل أنقاض ثلاث بلدات في الغوطة بعقد مع الإسكان العسكري، 2019/5/19، شوهد في 2022/1/3:
https://bit.ly/3t9nNkG

(77) - المصدر نفسه.

(78) - تيم الحاج، وسيم الخطيب، سيلا عبد الحق، عامر خيتي.. ملياردير الحرب المقرب من الأسد وزوجته، ومسوق مخدرات حزب الله، تلفزيون سوريا، 2021/6/7، شوهد في 2022/1/5:

https://bit.ly/3soQoU2

استطاع تبييض أمواله في مشاريع ضمن تركيا والسودان ومصر التي سافر إليها، ومع دخول النظام إلى الغوطة عاد، بتنسيق مع النظام والروس، ليلمع نجمه كأحد الأثرياء والمتنفذين، وشغل كرسيًّا في مجلس الشعب، وتؤكد كثيرٌ من التقارير ارتباطه المباشر بتجارة المخدرات الناشطة إنتاجيًّا في سورية، برعاية أركان النظام، وبالأخص مع ماهر الأسد من خلال مدير مكتبه غسان بلال[79].

أبرز الملامح المشتركة بين أثرياء الحرب المقاتلين، والوسطاء التجاريين

ملامح مشتركة لأثرياء الميليشيا	ملامح مشتركة لوسطاء الميليشيا
منبت اجتماعي واقتصادي متواضع ومجهول	منبت اجتماعي وتجاري متواضع أو مجهول
استمرار الدور الميليشياوي حتى الآن	إقامة علاقات طيبة مع جميع الأطراف
حازوا لقب "أبو الفقراء" في مناطقهم	استغلوا ظروف الحرب الإنسانية
ضبابية وضعهم كواجهات	تمتعوا بحرية الحركة من وإلى المناطق المحاصرة
نفوذهم الاستثنائي اقتصاديًا ورسميًا	سافروا إلى الخارج وأسسوا شركات.. وعادوا إلى سورية
علاقتهم الأكيدة بواحد من أركان السلطة (أسماء وماهر وبشار)	علاقتهم الأكيدة بواحد أركان السلطة (أسماء وماهر وبشار)
شملتهم العقوبات اللاحقة	شملتهم العقوبات اللاحقة
كوّنوا ثروات من خلال العنف والقوة والتهريب والجريمة المنظمة	كونوا ثروات من تجارة واحتكار الغذائيات أثناء الحصار ومن تصريف العملات وتجارة العقارات والمخدرات
تمت شرعنة ثرواتهم (تبييضها) وإدماجهم في الاقتصاد السوري	تمت شرعنة ثرواتهم (تبييضها) وإدماجهم في الاقتصاد السوري
توسع طيف استثماراتهم ما بعد الاندماج	توسع طيف استثماراتهم ما بعد الاندماج
شملتهم العقوبات اللاحقة	شملتهم العقوبات اللاحقة

ب- أبرز أثرياء الحرب من عالم التجارة

1. سامر زهير الفوز (44 عامًا) اللاذقية:

اقتحم سامر الفوز المشهد الاقتصادي السوري بقوة، منذ عام 2014، من بوابة الاستثمارات والتجارة، وشكلت لحظة دخوله المسرحية حاجة معنوية لنظام متهالك اقتصاديًا، ويرغب في التغطية على الاستثمارات الهاربة، باستثمارات وافدة تؤكد مزاعمه حول إغراء وجاذبية الاستثمارات في سورية. من جانبه، وجد الفوز

(79) - عروة خليفة، انتخاب المعينين، الجمهورية نت، 2020/7/20، شوهد في 2022/2/1:
https://bit.ly/35fPBMj



في سورية ملاذًا آمنًا له ولأمواله، بعد جريمة قتل قام بها في إسطنبول، وراح ضحيتها رجل الأعمال الأوكراني ذي الأصول المصرية «رمزي متى»، وخرج بعد ستة أشهر من سجنه في تركيا، بصفقة مشبوهة أشير إلى دور إيراني فيها[80].

تقاطعت حاجة النظام إلى اسم جديد قادر على اختراق العقوبات، مع طموحه الشخصي لتسجيل اسمه بين الكبار، وهو الأمر الذي عجز عنه والده زهير الفوز، المؤسس لأعمال العائلة التجارية عبر شركة شحن واستيراد[81]، منذ تسعينيات القرن الماضي، بالرغم من قربه من حافظ الأسد، واستطاع الفوز الابن في مدة يسيرة أن يؤسس إمبراطوريته المالية في سورية، ليبدو واحدًا من المؤهلين لوراثة إمبراطورية رامي مخلوف، حتى قبل أن تتفكك، فاشترى فندق (فور سيزون) في دمشق، من الوليد بن طلال، وسطا بشكل مموه، تحت غطاء الدمج، على أعمال كل من إمبراطور السيارات في سورية عماد حميشو، وعلى أعمال عماد غريواتي المحجوز على أملاكهما من قبل النظام[82]، وكذلك، على أملاك موفق القداح، وبنى معملًا لإنتاج و تكرير السكر الأبيض في حمص، بقيمة نصف مليار دولار وبطاقة إنتاجية مليون طن سنويًّا[83]، إضافة إلى تأسيس معملي الكابلات والحديد، وشركة إعمار (موتوروز) المختصة بتجارة السيارات ووكالاتها وقطع التبديل، وأسس شركة الفوز التجارية، وشركة الفوز القابضة، وشركة أمان القابضة، والعديد من الشركات الغذائية والعقارية والسياحية الإعلامية، ومنها اعتباره شريكًا مؤسسًا لقناة الدنيا التلفزيونية، قبل أن يؤسس قناته التلفزيونية الخاصة باسم «قناة لنا»، فضلًا عن الموقع الرئيسي الذي حجزه في مشروعَي «ماروتا، وباسيليا سيتي»، من خلال شركة دمشق الشام القابضة، المتصلين جغرافيًّا، من حيّ المزة الدمشقي إلى داريا في ريف دمشق، على مساحة تزيد عن ألف هكتار، بعد إخلاء السكان منهما، منذ العام 2015، بموجب المرسوم 66 لعام 2012، لبناء شقق ومراكز تسوق ومولات تجارية فخمة، على حساب السكان المالكين، والعاجزين، بسبب التعويضات الهزيلة الممنوحة لهم، عن شراء مسكن في منطقتي المشروعين، بسبب غلاء الأسعار فيهما، ونسب التنفيذ المتدنية والمتعثرة منذ سنوات.

---

(80) - انظر: محمد ديرانية، سامر الفوز ماذا تعرف عن حوت الأعمال الأضخم لنظام بشار الأسد، موقع قناة الجزيرة القطرية، 2018/7/12، شوهد في 2022/1/26:

https://bit.ly/3JYlcAX

(81) - انظر: طارق صبح، حيتان الأسد وجوه الفساد الاقتصادي في سوريا، تلفزيون سوريا، 2021/2/5، شوهد في 2021/12/17:
https://bit.ly/3HAk70k

(82) - انظر: محمد ديرانية، سامر الفوز ماذا تعرف عن حوت الأعمال الأضخم لنظام بشار الأسد، مصدر سابق.

(83) - انظر: منها معمل لإنتاج السكر بطاقة مليون طن سنويا.. دخول منشآت جديدة حيز الإنتاج في حسيا الصناعية، سانا الوكالة العربية السورية للأنباء، 2021/3/10، شوهد في 2022/2/17:

https://bit.ly/3MXGj83

التغول التجاري المفاجئ لسامر الفوز في سورية خلال بضع سنوات فقط، واكبته علاقات مميزة مع إيران أولًا، وروسيا لاحقًا، وصاحبه الإسهام برعاية وتمويل ميليشيا باتت محسوبة عليه، وهي قوات درع الأمن العسكري التي تشكلت في الساحل وشاركت في معارك اللاذقية وحمص، وعرف عنه أسلوبه العنيف[84]، في إقصاء منافسيه والسطو على أملاكهم، كما اقترن اسمه بالموجة الواسعة لشراء العقارات لصالح إيران، وهي الدولة الأولى التي زارها بعد خروجه من السجن[85]، بالإضافة إلى تنقلاته الدائمة بين روسيا وتركيا والإمارات، ما يضيف مزيدًا من التساؤلات حول دوره الاقتصادي وارتباطاته المحلية والإقليمية، وقد شملته العقوبات الخارجية.

2. وسيم قطان (44 عامًا) دمشق:

برز اسم وسيم القطان لأول مرة عام 2017، مع استثماره لمول قاسيون، برقم تجاوز المليار ليرة[86]، ليبدأ بعدها رحلة الصعود والاستثمارات المتعددة، ويتبوأ مناصب عدة، أبرزها تعيينه، بدون انتخابات، رئيسًا لغرفة تجارة دمشق في شباط/ فبراير 2018، وتغيب أي معرفات اقتصادية سابقة للرجل قبل هذه التواريخ، باستثناء شغله لمنصب مدير تجاري لأحد فروع سيريتل[87].

حظي القطان بعد ظهوره الإعلامي بالعديد من العقود الحكومية المتعدّدة للاستثمار في " الفنادق والمجمّعات التجاريّة ومراكز التسوق"[88]، ومنها مجمع «يلبغا» الشهير[89]، وفندق الجلاء في المزة، وأرجعت مصادر إعلامية متقاطعة مصادر ثروته الأولية إلى أنواع من الأنشطة غير المشروعة التي عمل بها خلال حصار الغوطة[90]، كمستثمر لأحد الحواجز الرئيسية المحيطة بها، بالإضافة إلى التهريب[91]، وتنوّعت استثماراته

(84) - انظر: محمد ديرانية، سامر الفوز ماذا تعرف عن حوت الأعمال الأضخم لنظام بشار الأسد، موقع قناة الجزيرة القطرية، 2018/7/12، شوهد في 2022/1/26:

ttps://bit.ly/3JYlcAX

(85) - المصدر نفسه.

(86) - وسيم القطان قصة «عملاق أعمال » بدا في الـ 2016 فقط، اقتصاد، 2020/7/30، شوهد في 2022/2/14:
https://bit.ly/3EGUont

(87) - المصدر نفسه

(88)- جوزيف ضاهر، الاقتصاد السياسي في سوريا ترسيخ توجهات ما قبل الحرب، مبادرة الإصلاح العربي 2020/10/30، شوهد في 2022/1/16:

https://bit.ly/3vEvLDB

(89) - جاءت شهرة هذا المشروع من كونه يقع في أكثر ساحات دمشق شهرة في وسط العاصمة دمشق «ساحة المرجة»، وقد بدأ تنفيذه سنة 1980، وتم تنفيذ الهيكل البيتوني لمجمع تجاري أقيم في موقع مسجد يلبغا الذي تم هدمه لإقامة هذا المجمع، ولكن بقي هذا البناء على الهيكل البيتوني، ولم يكتمل بناؤه حتى الآن، أي بعد مرور 40 عامًا على البدء في تنفيذه. كمثال عن إدارة حكومية فاشلة.

(90) - انظر: سلام سعيد، جهاد يازجي، إعادة اعمار سوريا إعادة اندماج وبناء سلام عادل اجتماعيًّا أم ترسيخ للنظام؟ FRIEDRIHC EBERT STIFTUNG,، 12/2018،شوهد2022/12/16،في:

https://bit.ly/3k2NvTE

(91) - المصدر نفسه.



في مجال السلع والخدمات والعقارات، وامتلك شركات مختلفة، منها مجموعة مروج الشام للاستثمار والسياحة، وشركة آدم للتجارة والاستثمار، وشركة وسيم القطان المعروفة بـ «تي دبليو أي»، أو «دبليو كاي»، وشركة لاروسيا للمفروشات، وشركة نقطة تقاطع[92]. إضافة إلى شركة إنترسكشن المحدودة[93]، وقد شملته العقوبات الخارجية.

3. سامر الدبس (60 عامًا) دمشق:

ينحدر سامر الدبس من عائلة صناعية عريقة في التاريخ السوري، تراجع دورها مع تأميم معملها الشهير في الستينيات، واستعاد سامر الدبس نشاطه الاقتصادي في مطلع التسعينيات، وورد اسم عائلته ضمن المئة الكبار في سورية لعام 2009، عبر نشاطهم في مجال صناعة الأنسجة، دون تخصيص اسمه شخصيًّا، ودخل إلى مجلس الشعب منذ عام 2007، وما يزال فيه حتى الآن، وشغل منصب رئيس غرفة صناعة دمشق وريفها، منذ عام 2014، وعضوية مجلس الأعمال السوري الصيني.

حظي الدبس منذ عام 2011 بحضور إعلامي لافت، متقدمًا الصفوف التجارية، وتحوّل إلى أحد الوجوه الرئيسية لاقتصاديي النظام، إذ رافق بشار الأسد في عدد من جولاته على المنشآت الاقتصادية[94]، كما برز اسم زوجته غالية ميداني التي أنشأ باسمها شركات للتحايل على العقوبات[95]. ونقلت منظمة «مع العدالة»، في آب/ أغسطس 2020، أن الدبس ضالع في تهديد وابتزاز عدد من معارضي النظام[96]، وعرف عنه ارتباطه الوثيق بماهر الأسد[97] وواجهاته التجارية، مثل محمد حمشو وخالد قدور، وشملته العقوبات منذ عام 2016.

---

(92) - جوزيف ضاهر، غرف التجارة السورية في العام 2020 صعود نخبة جديدة من رجال الأعمال، جوزيف ضاهر، MIDDLE EAST DIRECTIONS، شوهد في 2022/1/6:

https://bit.ly/3voAYRI

(93) - انظر: السوري وسيم القطان تحت طائلة العقوبات الأميركية.. كيف أصبح رجل أعمال بين ليلة وضحاها؟ الحرة، 2020/7/29، https://arbne.ws/35fSZH1

(94) - سامر الدبس.. لرفيق الاقتصادي لجولات الأسد، عنب بلدي، 2021/6/30، شوهد في 2022/12/29:

https://bit.ly/3soWHqD

(95) - سوسن الشاعر، صراع روسي إيراني داخل عائلة الأسد، الشرق الأوسط، 2019/3/10، شوهد في 2022/2/11:

https://bit.ly/3vocVC5

(96) - انظر: **منظمة مع العدالة**، شبكة رجال الأعمال لتمويل النظام السوري والتحايل على العقوبات الدولية ط1، 2020 ص 157، https://bit.ly/3M5ocND

(97) - المصدر السابق، ص 158

ج-أثرياء حرب/ واجهات للعائلة الأسدية

ويقصد بالواجهات تلك الأسماء التي ظهرت فجأة في عالم الاقتصاد السوري، بأحجام لا تتناسب مع المعروف عن نشاطها الاقتصادي السابق، أو تاريخها المالي، وتبوأت مراكز وأنشطة اقتصادية تعدّ تاريخيًّا من مجالات نشاط العائلة الأسدية في الاقتصاد السوري، وكان رامي مخلوف يديرها، باعتباره شريكًا وخازنًا لأعمال العائلة، وتولت النشاطات الاقتصادية المحتكرة للدائرة الضيقة من النخب الاقتصادية.

وفي حقيقة الأمر، أفضت الوظائف الأمنية المتشابكة مع التبدلات الموازية في اقتصاد الحرب، خلال السنوات الماضية، إلى ترسيخ سيطرة عائلة الأسد على الاقتصاد السوري بشكل يتعذر فيه الحديث عن نخب اقتصادية تتمتع بحد أدنى من الاستقلالية المالية، بعيدًا عن تقاطعاتها وشراكاتها مع العائلة الأسدية، ليتوسع مفهوم الواجهات، ويشمل، بالإضافة إلى أثرياء الحرب الجدد، بقايا النخب القديمة الفاعلة في سورية.

وإذا كان رامي مخلوف قد مثّل مصالح العائلة مجتمعة، فإن إزاحته استدعت نوعًا من تقسيم نشاطاته لصالح الأخوين ماهر وبشار الممثل بزوجته أسماء الأسد، الأمر الذي فرض بدوره تبعية الواجهات الاقتصادية لأحدهما على الأقل، وقد تتقاطع الواجهات في بعض الحصص والنشاطات غير المحسومة أو المعلقة، كما هو الحال في نشاطات أبو علي خضر الاقتصادية المحسوبة على الجهتين، كما يبدو حاليًّا. ولا تتوفر معلومات عن تلك الشركات: أيّها من حصة ماهر وأيّها من حصة أسماء، أو عن نسب توزع أسهم الشركات بينهما، ولكن يبدو واضحًا أن ثمة سباقًا يجري بينهما، مع أرجحية باتت واضحة لأسماء الأخرس/ الأسد.

ويختلف مفهوم الواجهات الاقتصادية للعائلة الأسدية تبعًا لمنشئهم وتاريخهم الاقتصادي، وطرائق تربحهم المالية، ففي حين أُجبرت بعض النخب القديمة المتبقية في سورية على التحوّل إلى واجهات برتبة شريك، أي أنها اضطرت إلى التنازل عن حصص كانت لها لصالح عائلة الأسد، مقابل السماح لها بالاستمرار في العمل، فإن الواجهات القادمة من عالم الميليشيا أو عالم الإدارة، غالبًا ما يتم التعامل معها برتبة موظفين أو وكلاء صغار يؤدون أدوارهم مقابل حصص بسيطة لا يمكن معرفة نسبها وأحجامها الفعلية.

1. يسار إبراهيم (40 عامًا):

استفاد يسار إبراهيم من خلفيّة والده حسين إبراهيم الذي شغل منصب مدير هيئة الاستشعار عن بعد، سابقًا، والمرتبط عائليًا بالزواج من شقيقة النائب العلوي في طرابلس - لبنان عن عكار، عبد الرحمن عبد الرحمن[98]، وقفز اسمه إلى الواجهة منذ عام 2018، مع تقريب أسماء الأسد له وتسليمها له مكتب الشهداء في وزارة الدفاع [99]، بعد أن أثبت ولاءه في عالم الميليشيا، بدخوله كشريك مؤسس في شركة

(98) - انظر: أسماء الأسد تستعد لوضع يدها على شركة الاتصالات MTN، الجمهورية ستوري، 2020/8/9، شوهد في 2022/1/7: https://bit.ly/3vkuzXD

(99) - انظر: مقرّب من أسماء الأسد يحصل على ترخيص المشغل الثالث في سوريا، مرصد الشرق الأوسط وشمال افريقيا، 2022/2/22 شوهد في 2022/2/23:



«صائدو داعش الأمنية»، أو «الصياد»، المرخصة عام 2017، ومركزها السقيلبية ريف حماة، والتي تعدّ كواجهة لفاغنر[100].

يعدّ يسار إبراهيم مع شقيقتيه الواجهات الأسدية الأكثر وضوحًا، لغياب المعرفات الاقتصادية السابقة لهم، وعدم حضور أسمائهم في عالم نخبة رجال الأعمال السوريين قبل عام 2011، ولامتلاكهم غير المفهوم لجوهرة الاستثمار «الأسدي المخلوفي» المتمثل بشركات الاتصال السورية، وعالم «النفط والغذائيات والإنشاءات»[101] وغيرها.

ومع تسلّم يسار إبراهيم مدير المكتب المالي والاقتصادي في رئاسة الجمهورية، والمسمى بالمكتب السرّي، تحول إلى الواجهة الأكبر لبشار وأسماء الأسد، والذراع الاقتصادية الضاربة لهما، فإلى جانب إدارة أملاك العائلة، خولته صلاحيات المكتب السرّي الهيمنة على كامل النشاط الاقتصادي في سورية، من خلال فرض إتاوات منتظمة على كل الفعاليات الاقتصادية[102]، تحت خياري الإذعان أو المصادرة، وكان ليسار إبراهيم ووالده وشقيقتيه نسرين ولمى، وشقيقه ميار، الدور الأكبر في عمليات نقل أسهم شركتي الخليوي سيريتل و «إم تي ان» "MTN" إلى المالكين الجدد، وأنيطت بيسار مهمة تصفية كلّ من (إم تي إن) و(سيريتل)، والاستيلاء على أسهمها، كما تم تسليمه مهمة المكتب السري، وأخيرًا استولى على أسهم المشغل الثالث (وفا).

2. نسرين إبراهيم:

شغلت منصب نائب رئيس مجلس إدارة (MTN) بين عامي 2020 و2021، ممثلة عن شبكة تيلي إنفست ليمتد، والمديرة العامة لشركة توليب التي تأسست عام 2015، وتعرف بقربها من أسماء الأسد [103]، وتخضع نسرين لعقوبات، وامتلكت شركة تيلي انفست 25% من أسهم (MTN) السورية، ويرأس مجلس إدارتها كل من يسار إبراهيم ونسرين إبراهيم، منذ عام 2019.

---

ps://bit.ly/3hqk1Xm

(100) - انظر: فراس فحام، عملية في الظلام كيف تجند فاغنر الروسية سوريين، نداء بوست، 2022/2/12، شوهد في 2022/2/13 في: https://bit.ly/3K6Qztf

(101) - واشنطن بوست، تسرد كيف استولى مقرب من الأسد على شركة «إم تي إن»، ترجمة ربى خدام الجامع، موقع تلفزيون سوريا، 2021/12/8، شوهد في 2022/12/10:

https://bit.ly/3hlB2Jw

(102) - عروة خليفة، مهند أبو الحسن، المكتب السري للابتزاز المالي في سوريا، الجمهورية نت، 2022/1/3، شوهد في 2022/1/17: https://bit.ly/36GBuQt

(103) - تعديلات في شركة سورية تستبق تعيينها حارسًا قضائيًا على «mtn»، عنب بلدي، 2021/2/28 شوهد في 2022/2/3 في: https://bit.ly/3Hx4PcJ

3. لينا الكناية (42 عامًا):

لعبت لينا الكناية أدوارًا متعددة، تحت مظلة أسماء الأسد، فمن مسؤولة في مؤسسة فردوس التابعة لأسماء الأسد، ومديرة لمكتبها حتى العام 2008، إلى مديرة مكتب المتابعة في رئاسة الجمهورية العربية السورية حتى عام 2021، وهو المكتب الذي تدير منه أسماء الأسد ما يسمّى «عمليات مكافحة الفساد»، الذي يشكّل قناعًا لإخضاع النخبة الاقتصادية ومحاصصتها، وإدارة اقتصاد البلاد[104]، وامتلكت باسمها العديد من الشركات، ومنها شركة ليتيا بحصة 52% منها[105]،وقد ورَد اسمها في مالكي تكامل المسمى بمشروع البطاقة الذكية المرتبط أيضًا بأسماء الأسد وأخيها. وتمتلك لينا الكناية مع زوجها وابنتها ثلاث شركات أخرى، وكان زوجها همام المسوتي قد قفز بعد زواجه منها، من رتبة موظف في أحد المشافي العامة، إلى حوت المناقصات الطبية للجهات العامة، وارتبط بعلاقات مع شخصيات اقتصادية مع أسماء معروفة، كمحمد حمشو وسامر الدبس، وأسس شركة روشانا التي يديرها، وأسهم في العديد من الشركات، ومنها شركة سوران وليتيا وليا وبولي ميديكس، وهي شركات معاقبة أميركيًا، لكونها واجهات للأسد وزوجته أسماء، بإدارة الزوجين مسوتي كناية، بالإضافة إلى الأنشطة العقارية المتنوعة وغير المحددة، وشغل منذ العام 2016 مقعدًا في مجلس الشعب، وترأس لجنة الشؤون الخارجية والعربية والمغتربين في المجلس[106].

وفي الوقت الذي تُشرف فيه أسماء الأسد على وكلاء وواجهات اقتصادية معروفة، بوصفها الممثل والشريك لبشار الأسد ومصالح العائلة، مع أنها لم تُسهم في صنعهم شخصيًّا، مثل القاطرجي وأبو علي خضر؛ فإن هناك نمطًا آخر من الوكلاء المحليين الذين نشؤوا من خلال علاقاتهم الحصرية معها، ووفرت لهم شبكة حماية أمنية واجتماعية، وغالبًا ما اعتمدت في اختيارهم على مزيج مركب من الولاء الشخصي، ومفاهيم العمل الاجتماعي والنسوي، وعالم الأعمال الخيرية التي تقوم باحتكاره، وتبدو لينا كناية وهمام مسوتي المثال الأبرز لتلك الشريحة. وبحكم قربها من أسماء الأسد، تم تعيين لينا في أيلول/ سبتمبر 2021 معاونًا لوزير لشؤون الرئاسة[107]، على الرغم من خضوعها للعقوبات الغربية في وقت لاحق، ويبدو من الجلي للعيان تصاعد نفوذ أسماء الأسد في القطاع الحكومي والرسمي، من خلال تعيينها لمقربين منها في مناصب وزارية أو مفاصل حساسة. وفي تعبير بالغ الدلالة على نفوذها، قام وزراء بوضع صورتها الشخصية في المكاتب الرسمية مع صورة بشار الأسد.

---

(104) - انظر: أسامة مكية، كيف تحول الزوجان «لينا الكناية: و «همام مسوتي» إلى أثرياء حرب بدعم من أسماء الأسد، عنب بلدي، 2021/1/15، شوهد في 2022/1/16:

https://bit.ly/3IA6Qqg

(105) - انظر الجريدة الرسمية العدد 20 الجزء الثاني لعام 2019، ص 11.

(106) - دليل الشخصيات العربية من هم، محمد همام محمد عدنان مسوتي:

https://bit.ly/3tdHmZg

(107) - السيد الرئيس بشار الأسد يصدر مرسومًا رئاسيًا، بلدنا نيوز، 2022/10/1، شوهد في 2022/3/16:

https://bit.ly/3ymnreT





صورة أسماء الأسد في مكتب وزير التربية

د- الشبكات الخارجية:

بشكلٍ ما، فإن المنابت الثلاث في لوحة النخب الصاعدة لأثرياء الحرب لن يكون بمقدورها ملء كل الفراغات، من دون إضافة صنف رابع، وهو الشبكات الاقتصادية الخارجية التي ساعدت النظام، من خلال استحداث قنوات خارجية لتمرير توريداته السلعية والمالية والتحايل على العقوبات، وضم مزيج مختلط من الأفراد السوريين وغير السوريين، ومن النخب القديمة والجديدة، بغض النظر عن وجود استثمارات داخلية لهم، ومكّن هذا الصنف من فتح قنوات مالية من خلال شركات وهمية، عملت على تزويد النظام ونخبه المعاقبة بالسيولة اللازمة، واستطاع النظام من خلال هذه الشبكات المعقدة تمرير صفقات، اتسم بعضها بالسرّية لاحتوائها على معدات عسكرية أو كيمياوية مطلوبة عسكريًا، كما أدت هذه الشبكات دورًا رئيسيًا في تبييض أموال الجريمة المنظمة، وسهلت إيداعها في الخارج، أو إعادة إرسالها إلى الداخل السوري ضمن عملية تزويد النظام بالسيولة المتاحة.

وشملت هذه المجموعة شخصيات معروفة بقربها للنظام سابقًا، كسليمان معروف، ومازن الترزي، وشخصيات جديدة برزت في ضوء قدرتها على تقديم الخدمات الالتفافية والتهرب من العقوبات، ومنها مدلل خوري.

رابعًا: ماذا حلّ بالطبقة القديمة؟

قبل حلول عام 2011، كان المئة الكبار، اقتصاديًّا، في سورية قد تموضعوا بغالبيتهم ضمن إحدى شركتين قابضتين: الأولى شركة شام القابضة التي تضم ثمانين رجل أعمال تحت جناح (رامي مخلوف)، والثانية هي شركة سورية القابضة التي أسسها صبحي جود، وشغل ابنه هيثم مدير مجلس إدارتها، وضمت حينذاك 15 رجل أعمال، من المصنفين في عالم الكبار.

ومع التغيرات الحاصلة في البلاد، تعرضت الروابط النفعية بين النظام ونخبه الاقتصادية لاهتزازات مفاجئة، تعمقت مع ضبابية مصير النظام غير المحسوم حتى عام 2015؛ فتغيرت المعادلة من سلّم أولويات الطرفين، وسارعت بعض النخب، وبالأخص الصناعية منها، إلى حماية أصولها المالية وتحويلها إلى الخارج، مع ترك مسافة أمان في المواقف السياسية، في خطوةٍ اعتبرها النظام نوعًا من الانشقاق الصامت في لحظة مصيرية.

وفي المقابل، أدت احتياجات النظام المتزايدة إلى الدعم المالي والاقتصادي، إلى فرض مزيد من الإتاوات المباشرة وغير المباشرة، وشكّل تمويل الميليشيات أحد أهم الدفوعات المالية المطلوبة من جيوب النخب، ما دفع بعضها إلى اتخاذ خيارات متعددة، راوحت بين الهجرة والانكماش أو الامتناع عن دفع كامل الأرقام المطلوبة.

وفي حين توقّع المستجيبون للدفع أن تتوقف المطالبة من جراء انتهاء الخطر الوجودي على النظام وتراجع الدور الميليشياوي بعد عام 2017، برزت الحاجة إلى دفوعات جديدة فرضتها حدة الأزمات الاقتصادية، وفي ظل تململ ومماطلة النخب على تلك الدفوعات، غيّر النظام أساليبه في تحصيلها، وأدرجها تحت مسوغات قانونية، وبدت كأنها إجراءات تحذيرية في بعضها، وعقابية في بعضها الآخر.

«في أيلول/ سبتمبر 2019، جمع محافظ البنك المركزي السوري حازم قرفول بعضًا من أغنى أغنياء سورية، في اجتماع مغلق في فندق شيراتون دمشق. وكانت وسائل إعلام سورية قد ذكرت في السابق أن الاجتماع قد عُقد، وفي ظاهر الأمر، تم تقديم الاجتماع إلى العامة على أنه محاولة لتعزيز العملة المتداعية من خلال تبرعات من النخبة الثرية، غير أن ثلاثة مصادر تحدثت مع أشخاص حضروا الاجتماع، قالوا إنه لم يكن يتعلق بالعمل الخيري. فقد عرض محافظ البنك المركزي قائمة بالعقارات والأصول الأخرى التي يملكها رجال الأعمال والصفقات المربحة التي أبرموها، ولمّح إلى إمكانية مصادرة ثرواتهم، إذا لم يقدّموا مساهمة كبيرة لخزانة الدولة. وذكرت المصادر أن فوز تعهّد بعشرة ملايين دولار، وذكر أحدهم أن محافظ البنك المركزي أبلغه بأن هذا لا يكفي، ليردّ فوز قائلًا: (اعتبرها دفعة أولى)» [108].

ومع تصاعد ابتزاز النظام لرجال الأعمال، بمختلف فئاتهم، اتجه بعضهم بعد مضي أحد عشر عامًا على

(108) - سليمان الخالدي، مها الدهان، توم بيري، مايكل جورجي، تقرير خاص- اقتصاد منهار ونزاع عائلي يكشفان الضغط على الرئيس الأسد، رويترز، 2020/7/13، شوهد في 2022/2/16:

https://reut.rs/3C4YFzM



الحرب إلى تصفية أعماله والخروج من البلاد، فيما لا يزال البعض الآخر يواجه مشكلات حقيقية في الخيار والقدرة على الخروج النهائي، مثل صبحي الرفاعي، صاحب معمل حلاوة البرج والنجمة، وعدنان النن صاحب معامل الدرة الغذائية، الذي امتد بأعماله إلى مصر دون إيقافها في سورية[109].

وفي المقابل، أذعن البقية، فدفع معن السوسي مبلغًا كبيرًا من المال بشكل نقدي، لصالح حملة بشار الانتخابية، بعد تلقيه اتصالًا من يسار إبراهيم، وأرسلت الدفعات اللاحقة على شكل شيكات موجهة لبرنامج مسار التابع للأمانة السورية المرتبطة بأسماء الأسد، وأُجبر آخرون على تسديد المبالغ المليارية ضمن الفروع الأمنية، مثل عاصم سليمان سليمان الذي استدعي إلى «فرع الخطيب»، لإجباره على الدفع[110].

مقارنة بين رجال الأعمال القدامى، وأثرياء الحرب الجدد

أثرياء قدامى	أثرياء جدد
استفادوا من علاقاتهم بمراكز القرار ولكن كانت لهم أدوارهم ومبادراتهم الخاصة، وتعرضوا للمنافسة وخطر الخسارة والإفلاس، أي كان لهم دور أيضًا في تكوين ثرواتهم	استغلوا فرصًا تم تصميمها لهم بحماية النظام من دون أي مبادرات أو نشاط (لا دور لهم في صناعة ثرواتهم فهم أدوات)
كوّنوا ثرواتهم خلال سنوات عديدة، بأنشطة ذات غطاء قانوني	كوّنوا ثرواتهم خلال سنوات قليلة بأنشطة غير قانونية
لهم مصالح وعلاقات وصداقات مع شركات عربية وأوروبية	ليس لهم أي علاقات تذكر مع شركات عربية وأجنبية
لهم استثمارات في الخارج تمنحهم بعض القوة ويخافون من أن تشملهم العقوبات	ليس لديهم استثمارات في الخارج تمنحهم أي قوة أو أي شعور بالاستقلال
لهم رصيد اجتماعي داخلي تكون خلال سنوات عديدة	ليس لهم أي رصيد اجتماعي داخلي
شملتهم العقوبات وباتوا غير قادرين على خدمة النظام للتهرب من العقوبات	غير مشمولين بالعقوبات، وكانت هذه فرصتهم ولو إلى حين..
ساهموا في السنوات الأولى بدعم النظام، سواء عبر نشاطاتهم للتحايل على العقوبات أو تكوين ميليشيات أو دعمها، لذا يشعرون بالمنة	ليس لهم أي مساهمة في دعم النظام، وهم مدينون للنظام في كل شيء
لديهم شيء من الإحساس بالكرامة	ليس لديهم أي إحساس بالكرامة ويقبلون أي شروط تفرض عليهم
يعدّون أنفسهم شركاء لرجالات السلطة، ولا يتنازلون بسهولة عن شركاتهم لأفراد من بيت الأسد	يرون أنفسهم خدمًا لرجالات السلطة، ويقبلون أي قرار لعائلة الأسد بتحويل ملكية الشركات إلى بيت الأسد

وفيما يبدو أن النخب الصاعدة استمرت في أداء فروض الطاعة كشرط لوجودها، عزز ابتزاز النظام للنخب القديمة من تراجع أدوارها ومكانتها، وأفضى إلى تبدلات في خرائط وجودها المحلي، فغيب أقطابًا

(109) - تركيا الآن، مصر تجنس ثلاثة صناعيين سوريين.. من هم؟
https://bit.ly/3K5DBM4

(110) - عروة خليفة، مهند ابو الحسن، المكتب السري للابتزاز المالي في سوريا، الجمهورية نت، 2022/1/3، شوهد في 2022/1/17:
https://bit.ly/36GBuQt

كبيرة لعبت أدوارًا أساسية، ومن أبرزها رامي مخلوف، وحجمت آخرين شكّلوا لفترات طويلة أركانًا ثابتة ضمن حلقتي الحظوة والسطوة المالية، أمثال غريواتي، حميشو، هيثم جود الذي عاد أخيرًا، وقُبلت توبته[111]، ومحمد حمشو، وهاشم العقاد، ووهيب المرعي الذي حُجز على أملاكه بعد وفاته، وعمومًا يمكن تصنيف مصير النخب القديمة ضمن شريحتين رئيسيتين، بحسب مكان وجودهم بعد الحرب، وبحسب المصائر اللاحقة لأملاكهم:

أ- مصير أملاك رجال أعمال غادروا سورية

وغالبًا ما، تحدد مصير المغادرين مبكرًا بسيطرة النظام على أملاكهم، بطرق متنوعة تتدرج بين الحجز الاحتياطي والحجز التنفيذي، والمصادرة بحجة التهرب من الضرائب، أو الغرامات المترتبة عليهم بسبب أنشطة غير قانونية، أو المصادرة بحكم قضائي مستند على محكمة الإرهاب، كأملاك فراس طلاس، وتم احتواء أعمال بعضهم وممتلكاته لصالح الصاعدين الجدد تحت أقنعة البيع أو الدمج، كما حدث لممتلكات حميشو، وغريواتي التي استولى عليها سامر الفوز، بعد إخضاعها للحجز الاحتياطي، وأملاك موفق القداح الذي اتّهم بتمويل جماعات معارضة للنظام[112]، وهي عمليات تشير إلى استخدام النفوذ والإكراه للاستحواذ على ممتلكاتهم.

ب- مصير الباقين في حضن النظام (رامي مخلوف نموذجًا)

يشكل مصير رامي مخلوف أحد المفاتيح الدلالية لمصير رجال الأعمال السوريين في الداخل، بالرغم من تعقيداتها وارتباطاتها العائلية، حيث مثّل رامي مخلوف رأس الاقتصاد السوري ومنطقته الأكثر حصانة، طوال العقدين الماضيين، لانعدام المسافة الفاصلة بينه وبين النظام.

وكانت هناك مؤشرات مبكرة قد ظهرت إلى العلن، توحي بافتراق عائلتي (الأسد - مخلوف) مع خروج العميد حافظ مخلوف (شقيق رامي مخلوف) من البلاد، ضمن فترة مقاربة لوفاة عمّته أنيسة مخلوف والدة بشار الأسد[113]، ومتزامنة مع تدهور صحة والده محمد مخلوف الذي توفي لاحقًا، وكان حافظ مخلوف يشغل حينها منصبًا أمنيًا رفيعًا.

ومنذ عام 2019، برز الخلاف مع رامي مخلوف إلى العلن، عبر قرار حجز احتياطي ومطالبات بدفع غرامات مستحقة، ليتدحرج الخلاف عبر سلسلة من الوقائع، تمخضت عن استيلاء أسماء الأسد على

---

(111) - انظر: فؤاد عبد العزيز، اقتصاديات: حل «أبراج سورية» أم تصفية رجل الأعمال هيثم جود..؟ 2020/11/1، شوهد في 2021/12/7: https://bit.ly/3vqqDEF

(112) - انظر: جوزيف ضاهر، نظام الأسد ما زال يتكئ على شظايا البرجوازية السنية، syrianuntold، ت ياسر الزيات، 2018/1/2، شوهد في 2022/2/11:

https://bit.ly/3xNPh3a

(113) - تضاربت الأنباء حول موعد خروج حافظ مخلوف الفعلي من سوريا، واختلفت ما بين العامين 2014، و2017، في حين توفيت عمته أنيسة في العام 2016.



«جمعية البستان» الخيرية التابعة لرامي مخلوف، وتغيير اسمها إلى «جمعية العرين»، واستيلائها على كل من شركتي الاتصال سيريتل، وMTN المملوكتين لمخلوف، بالإضافة إلى حل شركة شام القابضة التابعة له وتصفيتها، وتصفية أو تجميد العديد من الشركات الخاصة به أيضًا.

وخضعت الشركة الأبرز لرامي مخلوف بعد وضعها في الحراسة القضائية، للعديد من عمليات نقل الأسهم المتسلسلة، لتمتلك شركة الأجنحة المساهمة المغفلة الخاصة، ويمثلها طارق خباز غير المعروف، 40% من أسهم سيريتل، وتتخلى عنها لاحقًا، لتنخفض حصتها إلى أقل من 1%، دون معرفة المالك الجديد، وبالمثل تم نقل 18% من الأسهم لحسين إبراهيم (والد يسار إبراهيم) الذي مررها لمالكين جدد لم يُفصح عن أسمائهم. لقد سقى بشار الأسد رجل أعماله السابق رامي مخلوف من تلك الكأس التي طالما سقى رامي منها الآخرين.



سيريتل SYRIATEL

سيريتل موبايل تيليكوم (شركة مساهمة مغفلة عامة)
مسجلة لدى أمانة السجل التجاري لمحافظة ريف دمشق برقم 5141
تاريخ 2001/12/31
رأسمالها ثلاثة مليارات وثلاثمئة وخمسون مليون ليرة سورية
ريف دمشق - طريق درعا الدولي - مفرق صحنايا
قرب مدرسة الشويفات

التاريخ: ٢٠٢١/١٢/٩

المرجع: EXC: 09-09-12-2021

السادة سوق دمشق للأوراق المالية

المدير التنفيذي

الدكتور عبد الرزاق قاسم المحترم

تحية طيبة وبعد،

الموضوع: بيان بملكية أعضاء مجلس إدارة شركة سيريتل موبايل تيليكوم

إشارةً إلى كتابكم رقم ١٤٢٦/ص.خ تاريخ ٢٠٢١/١٢/٥ المتضمن إعلامنا بتنفيذ ثلاث صفقات على ورقة سيريتل في السوق بتاريخ ٢٠٢١/١٢/٥ أدت إلى تغيّر في الأثر الملموس، وإلى كتاب هيئة الأوراق والأسواق المالية رقم ١٥٧٣/ص-ف تاريخ ٢٠٢١/١٢/٩ المتضمن طلب تزويد الهيئة ببيان تغير ملكية أعضاء مجلس إدارة شركة سيريتل موبايل تيليكوم بعد تنفيذ الصفقات الضخمة خلال الفترة السابقة،

فيرجى أخذ العلم أن ملكية أعضاء مجلس الإدارة أصبحت على الشكل الآتي:

الاسم	النسبة من راس المال قبل الصفقة	النسبة من راس المال بعد الصفقة
شركة الواثق محدودة المسؤولية يمثلها الدكتور احمد العلي (رئيس مجلس الإدارة)	5.751%	0.597%
شركة بيشاور للاستثمار المساهمة المغفلة الخاصة يمثلها الدكتور حسين إبراهيم (نائب رئيس مجلس الإدارة)	18.563%	0.298%
شركة الامجاد المتألقة للتجارة والاستثمار المحدودة المسؤولية تمثلها المهندسة رشا الحداد (عضو مجلس الإدارة)	2.905%	0.298%
شركة الاجنحة المساهمة المغفلة الخاصة يمثلها السيد طارق خباز (عضو مجلس الإدارة)	40%	0.298%
الدكتور ربيع سميا (عضو من غير المساهمين)	0	0

يرجى الاطلاع.

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام والتقدير

رقم الوارد: 1428
التاريخ: 2021/12/12
سوق دمشق للأوراق المالية

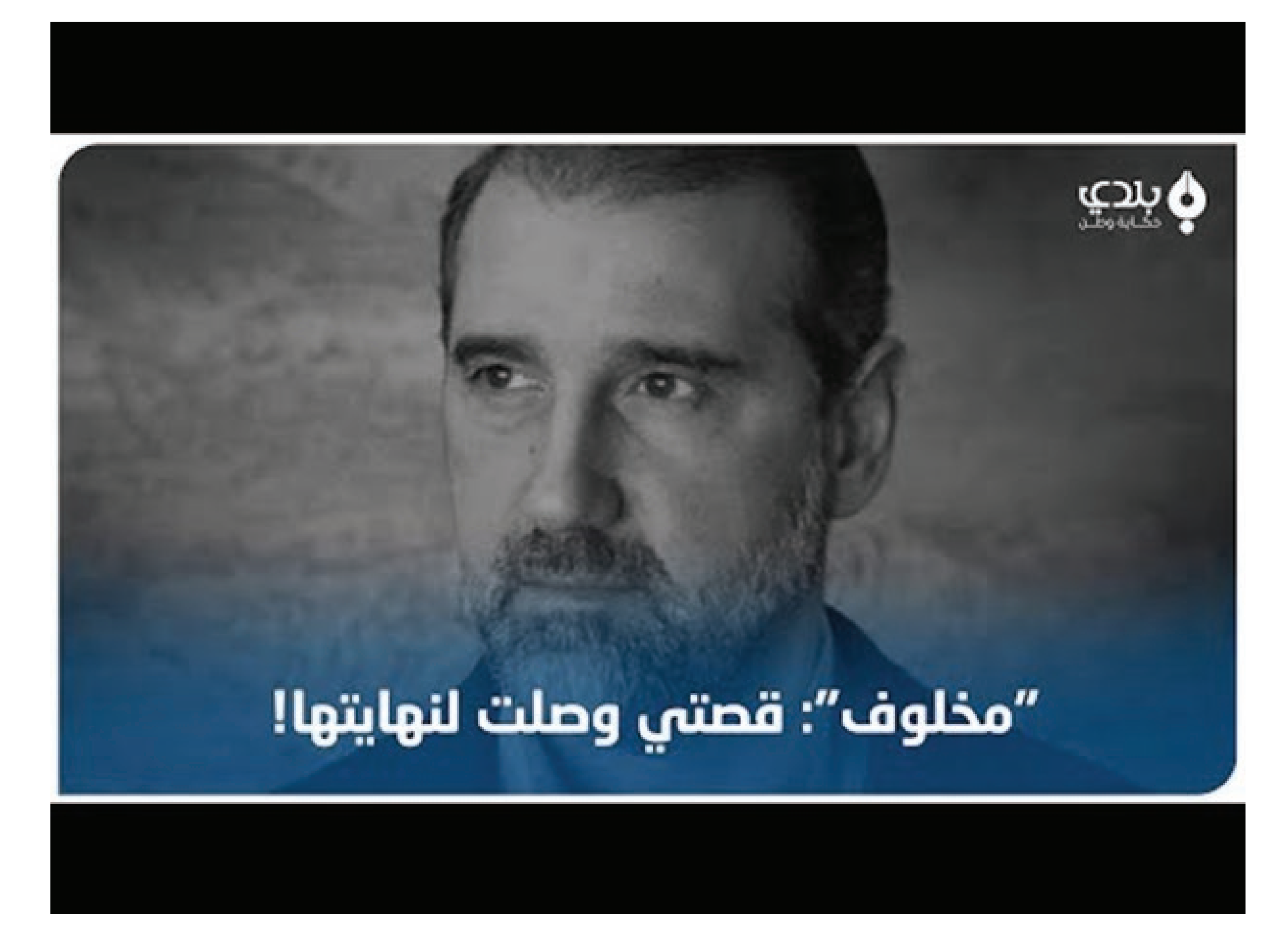
مريد صخر الأتاسي

رئيس المديرين التنفيذيين

سيريتل موبايل تيليكوم (شركة مساهمة مُغفلة عامة)

إفصاح طارئ بتغير ملكيات أعضاء مجلس الإدارة في شركة سيريتل للاتصالات، رقم 1428، تاريخ 2022/12/12

وتعدّت عملية إزاحة رامي مخلوف إطار إعادة الترتيبات المالية للعائلة الأسدية، لتشكل الرسالة الأعنف والأوضح، لعالم رجال الأعمال السوريين الذين باتوا بين خيارين: إما الخضوع الكامل والمستمر لابتزازات النظام، المندرج ضمن نسق مستجد يعاد بناؤه وفق متغيرات اقتصاد الحرب، وإما المصير المشابه لمصير رامي مخلوف.

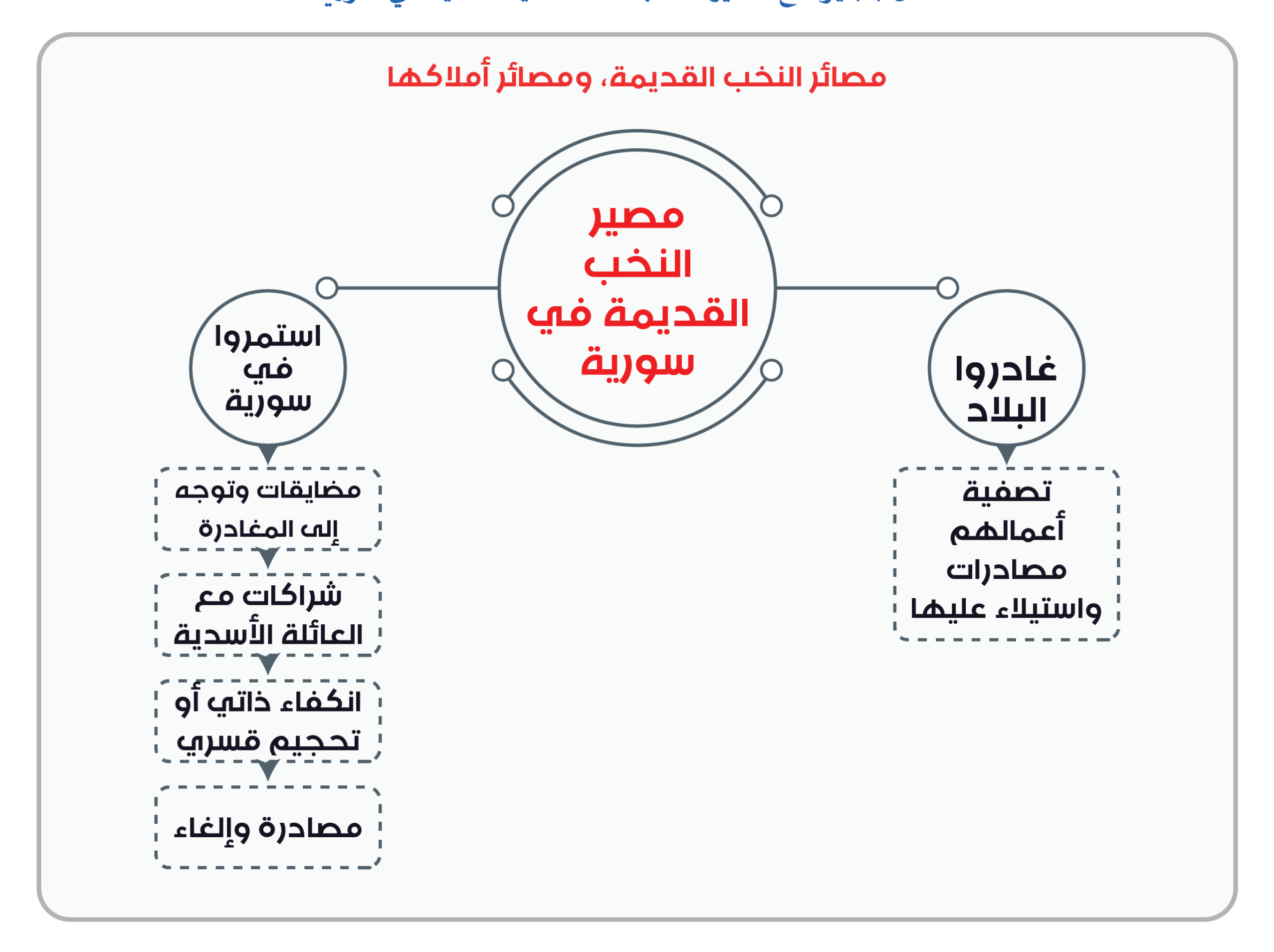


https://bit.ly/3PO1Hyy

وأفضت التغيرات الاقتصادية العامة في لوحة النخب المعروفة سابقًا، إلى ضمور حضورها الاقتصادي وتراجع دورها الراهن، كنتيجة للسياسات الاقتصادية العنيفة التي صاحبت صعود أثرياء الحرب إلى واجهة الاقتصاد السوري.



الشكل (4) يوضح مصير النخب الاقتصادية القديمة في سورية





خامسًا: تحولات أمراء الحرب من الاندماج والتكيّف إلى الهيمنة

انعكست محاولات النظام منذ عام 2017 باستعادة مفاصل القوة وضبطها من جديد، تحت شعار استعادة الدولة لهيبتها، على المجالات الحيوية لأثرياء الحرب، وعلى مستويات تربحهم، ومدى النفوذ المتاح والمسموح لهم.

فأدّى تقليص مستويات التسامح الممنوحة للميليشيا إلى الحد من حركتها، قياسًا بالسابق، فعمد النظام إلى إلحاق بعضها بهيكليته العسكرية المباشرة، وقونن عمل بعضها الآخر، تحت ستار الشركات الأمنية، وأعاد جدولة المصالح والحصص المرتبطة بعوالم النفوذ في المجال الاقتصادي، ضمن تصوراته المستجدة عن تركيب عالم الحظوة، بما يتماشى مع أسلوبه المتبع من نظام المكافآت والعقوبات تبعًا لدرجات الولاء والمواقف أثناء الحرب.

وبغض النظر عن كون جملة الترتيبات التي قام بها النظام قد جاءت ضمن أهداف أوسع، سياسيًّا واقتصاديًّا، تبعت نتائج التدخل الروسي الفاعل، فقد لعبت هذه الترتيبات دورًا حاسمًا في تشكيل الخريطة النهائية لأثرياء الحرب، فتشابكت عمليًا مع رغبته في التخلص من الحمولات الزائدة المتمثلة بالمنفلتين منهم، أو الأقل ولاء وحظوة، وإفساح المجال الأوسع لبعضهم الآخر، ضمن مسار إعادة تشكيل السلطة على قاعدة الاستئثار المطلق بمفاصل القوتين الاقتصادية والأمنية، وأفضى ذلك إلى تموضع أثرياء حرب في صلب مراكز القوة الجديدة، تبعًا لتسلسل الخطوات التالية:

أ- إلغاء النفوذ العسكري للميليشيا:

بعد ارتياحه النسبي إثر التدخل الروسي، عمد النظام إلى الحد من نفوذ الميليشيا وإلغاء العديد منها، كاستجابة للرغبة الروسية في ترميم مؤسسة الجيش المتهالك[114]، وسعيًا منه لإحكام السيطرة الكلية على عائدات التربح القادمة من عالم الميليشيا، وجاء تشكيل الفيلق الخامس – اقتحام، المدعوم من روسيا، في تشرين الثاني/ نوفمبر 2016، بمنزلة خطوة أولى ضمن عمليات الحد من نفوذ الميليشيا، باعتبار الفيلق الخامس حلقة وسيطة بين الميليشيا والجيش النظامي[115]. وقام في نيسان/ أبريل 2017، بموجب اتفاق مع طهران، باتخاذ قرارات دمج الميليشيات مع الوحدات النظامية، وشمل القرار الميليشيات المحلية التي رعتها إيران في السنوات السابقة[116]، وكانت مجموعة «صقور الصحراء»، التابعة لأيمن جابر وشقيقه محمد

(114) - انظر: الفيلق الخامس الفاعلية العسكرية والمستقبل المتوقع، مركز جسور للدراسات، 2019/6/3، شوهد في 2022/1/17:
https://bit.ly/3tknBPw

(115) - انظر: الفيلق الخامس إلى الواجهة مجددًا، الجمهورية نت، 2018/7/15، شوهد في 2022/1/8:

https://bit.ly/3Mdrb6X

(116) - انظر: حايد حايد، إعادة دمج الجماعات المسلحة السورية، الآليات، الجهات الفاعلة، مركز مالكوم كير- كارنيغي للشرق الأوسط، 2018/12/17، شوهد في 2022/2/2:

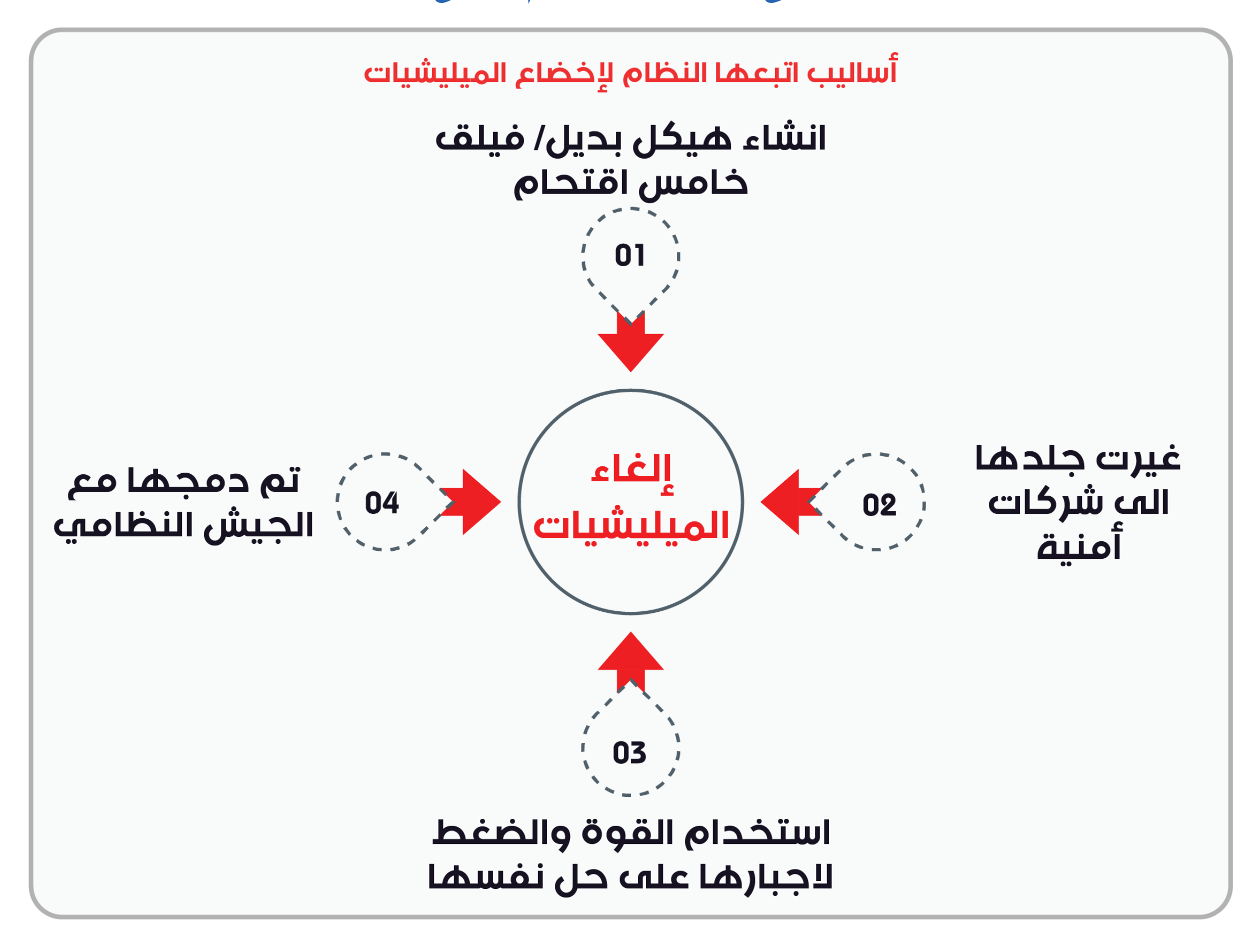
https://bit.ly/3hsxLrS



جابر، من أولى الميليشيات المهمة التي تم حلّها في آب/ أغسطس 2017، حيث امتد نفوذها ما بين الحدود الأردنية والعراقية، وأهّلها ذلك للقبض على ممرات مالية مهمة[117].

واستخدم النظام أساليب متعددة لإخضاع الميليشيات القائمة، وإجبارها على الانصياع لأوامره، فبدأ بإبعاد الجماعات الأكبر حجمًا عن منابع مواردها المالية الممثلة بنقاط التفتيش التي توفر لها أرباحًا طائلة[118]، وأوقف الدعم اللوجستي عن بعضها، وأوقف التمويل عن بعضها الآخر، فتسرّب العديد من عناصر الميليشيا بعد انقطاع مرتباتهم لشهور، كما عمد النظام إلى إيقاف امتيازات أفراد بعض مجموعات الميليشيا، وسحب الرخص الأمنية من أفرادها، وقلّص تعويضات قتلاها.

الشكل (8) يوضح أساليب اتبعها النظام لإخضاع الميليشيات



(117) - انظر: لواء صقور الصحراء:
https://bit.ly/3HutqyY

(118) - انظر: حايد حايد، إعادة دمج الجماعات المسلحة السورية، الآليات، الجهات الفاعلة، مصدر سابق.

وبالتوازي مع ذلك، اعتمد النظام آلية الدمج مع الجيش النظامي، فاحتوى -على سبيل المثال- ميليشيات قدسيّا والهامة في ريف دمشق الغربي ضمن الفوج 101 حرس جمهوري[119]، كما دمجت ميليشيا الغيث التابعة للعقيد غياث دلة في الفرقة الرابعة [120]، كما حل ميليشيات برزة وضاحية الأسد والقسم الأكبر من ميليشيات حماة بشكل مباشر، وفي الحالات الأكثر تعقيدًا، خيّر تلك المجموعات بالذهاب إلى خطوط التماس في المناطق الساخنة، أو حلّها، ومارس أساليب الضغط الأمنية، ففتح ملفات قضائية وجنائية انتقائية لبعض قيادات وأفراد الميليشيا على جرائم وتجاوزات كانت مدعاة لفخرهم، وانتهاكات سابقة لهم.

وفّر انحسار الميليشيات «غير النظامية» توسعًا «للميليشيات النظامية»، كالفرقة الرابعة التي ازداد عدد حواجزها وتولت جباية الريع والإتاوات بشكل مركزي، بالتعاون مع المجموعات الأمنية المنضوية تحت جناحها بوصفها ميليشيات سابقة أعيد توصيفها ومُنحت الترخيص القانوني تحت إشراف مكتب الأمن الوطني[121]، وخصوصًا في عام 2017، الذي شكل نقطة تحول حيث بلغ عدد الشركات الأمنية الخاصة «11 شركة في كانون الأول/ ديسمبر 2017. وأخذ هذا العدد في الارتفاع في العام 2018، إلى أن بلغ 75 شركةً مُرخَّصًا لها في العام 2019 «[122]. كما وفر انحسار الميليشيات البيئة المناسبة لتقديم أثرياء حرب ببزات رجال أعمال، بعد نزع الزي العسكري عنهم، تمهيدًا لتصوير انخراطهم في الاقتصاد السوري كمساهمة مستجدة في تعزيز الاستقرار، باعتبارهم روافد ضرورية ومهمة تتولى إنقاذ الاقتصاد الوطني المتأثر بعوامل الحرب والدمار.

ب- غربلة أثرياء الحرب

وتعني الغربلة تحديد الأفراد المسموح لهم باستمرار العمل ضمن السياق التربحي القائم على السلطة والنفوذ، وفق الأشكال المعدلة لها، وكان من المفترض أن تتوقف عمليات التربح القادمة من عالم الميليشيا، مع تراجع أدوارها وتقليص عددها، وأن تتوقف آثارها على الاقتصاد السوري، غير أن واقع الأمر أفصح عن سلسلة الخطوات السابقة المتعلقة بالميليشيا، وكانت في جانب منها لتنظيم واحتكار الدور التربحي فيها.

وبشكل تدريجي وهادئ إلى حد ما، تم انتزاع المعابر الرئيسية ومناطق التربح من أمراء حرب لم يتمكنوا من الانتظام في النسق الجديد، وأوكلت مهامهم وأدوارهم إلى شركات أمنية حازت الغطاء القانوني، وتم تحديد حقوق التربح المنوطة بها، وأحجامها وفقًا لتوازنات أعلى بين أقطاب النظام من جهة أولى، وبين النظام

---

(119) - انظر: عربي بوست، حلفاء متعبون النظام السوري يدمج الميليشيات الموالية اليك تشكيلاتها الجديدة والقوى المستفيدة من هذا التغيير، عربي بوست، 2018/9/12، شوهد في 2022/2/5:

https://bit.ly/35zudRZ

(120) - انظر: درعا.. النظام يقرر دمج الفرقة الرابعة مع ميليشيا الغيث، بلدي نيوز، 2020/5/31، شوهد في 2022/2/16:
https://bit.ly/3suhpoV

(121) - انظر منهل باريش، الشركات الأمنية الخاصة في سوريا: وكلاء جدد في خدمة النظام، MIDDLE EAST DIRECYIONS, 28/7/2020، شوهد في 2021/12/27:

https://bit.ly/39dpQhl

(122) - المصدر نفسه.



وحلفائه من جهة ثانية.

وجرت غربلة أمراء الحرب تبعًا لضوابط ومعادلات متشابكة ومعقدة، لعبت فيها التوازنات المحلية دورًا محوريًا، وتقاطعت بشكل تلقائي مع إرادة حلفاء النظام ومدى نفوذهم وعلاقاتهم التفاعلية مع الأثرياء الجدد، فتفاهمات القاطرجي المبكرة مع الإيرانيين، واللاحقة مع الروس، وضعته كنقطة تقاطع مطلوبة من النظام، وأهّلته لاحتلال المكانة الأبرز في الاقتصاد السوري، بالتساوي مع أبو علي خضر الذي نشأ كربيب للفرقة الرابعة المدعومة إيرانيًا، ليحظى أيضًا برعاية أسماء الأسد المغطاة روسيًّا، ويشكل حلقة وصل بينهما في العديد من المجالات الاقتصادية الممنوحة له.

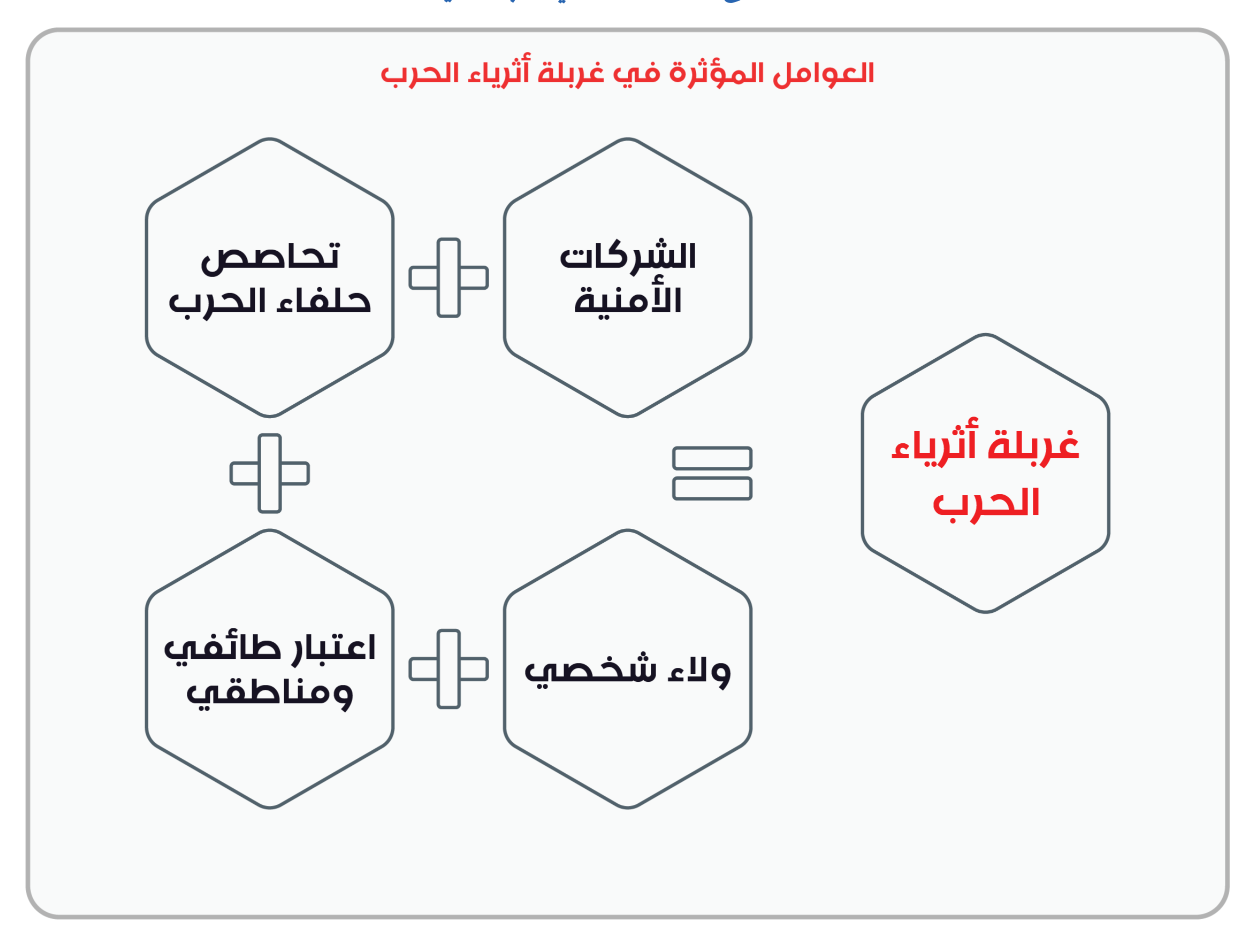
ولعبت الاعتبارات المناطقية والطائفية دورًا واضحًا في توزيع أمراء الحرب، وغالبًا ما يتم اختيار شخصية واحدة من كل منطقة على حساب استبعاد الشخصيات الأخرى، ويبدأ تلميعها بالتوازي مع استبعاد أو تحجيم الشخصيات الأخرى ذات المنبت المناطقي المشترك، ففي حين ينتمي أبو علي خضر، ويسار إبراهيم إلى ريف طرطوس (العلوي) كثنائي قويّ، تعويضًا عن غياب رمز (علوي) من اللاذقية، أو تعويضًا عن رمزية رامي مخلوف المشطوبة، وفد القاطرجي من حلب وأريافها، على حساب آل بري، وجاء سامر الفوز من الإطار السني في اللاذقية، ورستم صقر من الريف الحمصي (العلوي)، وجاءت غالبية مجموعة أثرياء الحرب التجاريين، كوسيم القطان وبلال النعال وسامر الدبس، من دمشق، فيما برز محيي الدين المنفوش وعامر خيتي من ريف دمشق، وبرز اسم كل من جورج حسواني (من القلمون) ومدلل خوري (ريف حمص) كأثرياء حرب (مسيحيين)، و غالبًا ما تقاطعوا مع النفوذ الروسي.

وفيما كشفت المجريات اللاحقة أن عمليات إلغاء الميليشيا لم تحمل في أهدافها المالية والاقتصادية إنهاء ظاهرة التربح الناشئة، بل الاستيلاء عليها والتحكم في عائداتها من قبل أفراد وجهات محددين، اعتُمدوا على حساب إقصاء نفوذ أثرياء حرب آخرين كانوا يشاركون في عائداتها، شكلت الشركات الأمنية البوابة شبه الحصرية لغربلة أثرياء الحرب واعتماد الوكلاء الدائمين من بينهم، وحازت الشركات الأمنية الأكثر قربًا وولاء، بحكم خبرتها وتقاطعاتها وما تشكله من غطاء لمشغليها، على فرصة الاستمرار في جني المغانم.

وفي حين أدت الغربلة، إلى حد ما، وظيفتها في حسم هوية الفاعلين الجدد من أثرياء الحرب ومجالات نفوذهم ضمن المناطق المستقرة أمنيًّا وعسكريًّا، فإنها لم تحسم بشكل نهائي التحاصص المناطقي بين أفرادها خارج المناطق المستقرة أمنيًّا وعسكريًّا، كشمال حلب ودير الزور والمناطق الشرقية، حيث يتقاطع نفوذ وأعمال الشركات الأمنية [123] التابعة لإيران، مع الشركات الأمنية المدعومة من روسيا، والموكلة بحماية شركات النفط الخاضعة للروس، وغالبًا ما تؤدي هذه التقاطعات إلى مواجهات نارية متكررة.

(123) - انظر: الشرق الأوسط، «الشركات الأمنية الخاصة» ساحة جديدة لتنافس روسي إيراني في سوريا، 2021/2/20 شوهد في 2022/2/10: https://bit.ly/3hsRTKs

الشكل (9) يوضح عوامل مؤثرة في غربلة أثرياء الحرب



ج-توزيع القطاعات الاقتصادية لأثرياء الحرب

حددت القراءة الاقتصادية للنظام ضرورة إيجاد خطوط فاصلة تمنع الاصطدام العنيف بين الفاعلين الجدد، وتؤدي وظائف التحاصص بقدر أعلى من الانسجام الاحتكاري، وتتيح مزيدًا من التحكم في الاقتصاد السوري المنهك، وغير المهيأ لتقلبات غير محسوبة، فاستمر القاطرجي باحتكار توريد النفط كفاعلية أساسية مرتبطة بنشاطه، لتلبية جزء محلي من الاحتياجات النفطية في البلاد[124]، إلى جانب نسبة 24% يغطيها إنتاج النظام، علمًا أن نشاطه النفطي عبر شركة (أرفادا) النفطية، المؤسسة عام 2018، تعدى التوريد إلى إنشاء المصافي الصغيرة وعمليات التكرير.

واستمر أبو علي خضر في الإشراف على حواجز الفرقة الرابعة ماليًّا، إلى أن تمت موضعته بشكل رئيسي في قطاعين، ارتبط الأول منهما بالجانب المتعلق بتجارة الاتصالات، وتوسع الثاني باتجاه العقود الرسمية والحصرية المرتبطة بتسويق المواد المنتجة من قبل القطاع العام، كالدخان الذي تقدر تداولاته اليومية

(124) - انظر: جوزيف ضاهر، انظر قطاع التصنيع في سوريا النموذج الحالي للانتعاش الاقتصادي.،MIDDLE EAST DIRECTIONS، 2019/5/31، شوهد في 2022/1/14:

https://bit.ly/3sBABRJ



ب 13،5 مليار ليرة[125]، بأسعار أكثر من ضعف سعرها الرسمي، ما يجعل الأرباح اليومية تعادل نصف المبلغ، وكذلك المياه المعدنية والمشروبات الكحولية، فيما تم تكليف يسار إبراهيم بمهمة توازي مهمة المعابر والحواجز، فحاز صلاحية فرض الإتاوة على جميع الفعاليات الاقتصادية، حتى المتاجر العادية والمصانع المتوسطة.

وظهر وسيم القطان كوجه بارز في الاستثمارات السياحية، جنبًا إلى جنب، مع سامر الفوز الذي حاز، فضلًا عن النشاط السياحي بامتلاكه (فور سيزون) ونادي ومطعم الشرق، حقوقًا شبه حصرية في تصنيع مادة السكر، ومُنحت حقوق صناعية لأشخاص محددين في الوقت الذي أوكلت فيه مهمة تنشيط الصناعة في دمشق لسامر الدبس[126]، وفي حلب لفارس الشهابي المقرب من النظام تاريخيًا.

وتمت عملية إخضاع قطاع المال والصيرفة والتحويلات المالية عبر اعتقالات متكررة وإغلاقات للعديد من الشركات والمكاتب بعد عام 2017، من دون ورود معلومات عن تبعيتها المباشرة لأي من الأسماء المعروفة، فيما يبدو قطاع العقارات، وهو الأهم بالنسبة إلى النظام، حتى الآن، مشاعًا للجميع، ربما لاتساعه، وضمور فاعليته الراهنة، حيث سعى كل أثرياء الحرب إلى شراء عقارات كثيرة، وبالأخص في المناطق المدمرة، وتأسيس شركات تطوير عقاري بانتظار تفعيلها في اللحظة المناسبة.

ضبَط النظام، وفق عملية توازن مركزية، حركة الثروات الضخمة المنبثقة من عالم الميليشيا والتربح غير الشرعي، وانتقالها إلى التعبير عن نفسها ضمن الأطر الاقتصادية العامة، فأخضع تلك الثروات وأصحابها لمجموعة من خطوات «المأسسة»، نقلتها من عالم الظل إلى الفاعلية المباشرة المعلنة، فأدرج العديد من أصحابها في النسق السياسي، ضمن مجلس الشعب، منهم حسام القاطرجي المقرّب من بشار الأسد منذ عام 2016، وهمام مسوتي المقرب من أسماء الأسد، كما أدرج عامر خيتي، وبلال النعال الفائزين في الدورة التشريعية 2020/2024، أما سامر الدبس، فتم إدراجه مبكرًا منذ عام 2012، وتبوأ عادل العلبي (رئيس مجلس إدارة دمشق الشام القابضة، وهي الشركة المعنية بإدارة أملاك المحافظة العامة)، منصب المحافظ، كما تولى بلال النعال، فضلًا عن عضوية مجلس الشعب، عضوية مجلس المحافظة عن دمشق.

وكانت هناك خطوات أخرى تجلت في تعيين وفرض أعضاء من النخب الجديدة، ضمن غرف التجارة والصناعة، وجاءت الانتخابات الأخيرة شديدة التعبير لتفوز قوائم أثرياء الحرب بنسب تصل إلى ثلثي مقاعد هذه الغرف[127]؛ ما يمنح أصحابها هيمنة تامة على صناعة القرارات الاقتصادية، وكانت لائحة القاطرجي التجارية في حلب قد فازت بأغلبية الثلثين، على حساب لائحة الصناعي فارس الشهابي الذي اشتكى بدوره

---

(125) - انظر: مافيات الدخان السوري تتحكم بالمدخنين، صور، 2021/11/28، شوهد في: 2022/2/16:

https://bit.ly/3CclMIv

(126) - انظر: جوزيف ضاهر، انظر قطاع التصنيع في سوريا النموذج الحالي للانتعاش الاقتصادي،،MIDDLE EAST DIRECTIONS، 2019/5/31، شوهد في 2022/1/14:

https://bit.ly/3sBABRJ

(127) - انظر: جوزيف ضاهر، غرف التجارة السورية في العام 2020 صعود نخبة جديدة من رجال الأعمال، 2021/4/15، MIDDLE EAST DIRECTIONS، شوهد في2022/2/7:

https://bit.ly/3voAYRI



أخيرًا، ضمن حالة يتيمة في الإعلام الرسمي، من نفوذ أثرياء الحرب، وقد عمدت القناة التلفزيونية إلى إزالة المقطع لاحقًا من أرشيفها.


فارس الشهابي

وفازت لائحة كلّ من سامر الدبس الصناعية، ولائحة وسيم القطان التجارية، بنفس النسبة تقريبًا، وباستثناء مدينة اللاذقية، فإن جميع المحافظات الخاضعة لسيطرة النظام قد انتظمت بنسب متقاربة، وفق هذا التشكيل[128]. ورافقت عملية الانضواء في المؤسسات السياسية والاقتصادية عملياتُ ترويج إعلامية نشطة لاستثمارات قادمة طرحها القطاع العام، وفازبها أفراد هذه النخبة، كتعبيرعن التعافي الاقتصادي، وبدء مرحلة الإعماروالنهوض بالاقتصاد، وفي الوقت ذاته كانت هناك عمليات تسجيل وترخيص للشركات التابعة لهم، وتدوير أرصدتهم ضمن القنوات المالية الرسمية، ما يشكل شرعنة نهائية لها.

وبالتوازي مع التأهيل الرسمي، أدى التأهيل الاجتماعي وظيفته المتممة عبر المؤسسات الخيرية أو عبر تبرعات مناطقية، لإضفاء مزيد من الحضور والشرعية على أفراد هذه الشريحة، فحاز كلٌّ من القاطرجي، وأبو علي خضر، لقب «أبو الفقراء» في مناطقهم، لتقديمهم بعض المساعدات العينية أو المالية، وغالبًا ما كانت تلك المساعدات تُقدّم إلى أسر قتلاهم، أو العاملين في مؤسساتهم الأمنية.

(128) - المصدر نفسه.

سادسًا: تأثير هيمنة الشريحة الجديدة على الاقتصاد السوري

عملت هيمنة النخب الجديدة، وصعود شبكات الحرب إلى سدة قيادة الاقتصاد السوري، على تحفيز توجهات سابقة للنظام السوري، وتسريع خطواته باتجاه تقليص الدور الاقتصادي للدولة، وحصره في مستويات الجباية والتحصيل الضريبي، ومع ضعف الموارد الاقتصادية والإنهاك العام بسبب الحرب، وسياسات التقشف المصاحبة، وغياب السياسات الإنمائية؛ طغت المفاهيم والمصطلحات المعبرة عن مصالح طبقة أثرياء الحرب في التداول الحكومي والقرارات الرسمية، وتدريجيًا تحوّل دور الدولة إلى مجرد كونها واجهة وقناعًا لتلك النخب ومشاريعها، في المجالات التالية:

أ- رسم السياسات والتوجهات الاقتصادية:

اعتقد النظام أن إمساكه الكلّي بمفاصل الاقتصاد، عبر أدواته القادمة من عالم الحرب، سيُعزّز عناصر قوته المتآكلة خلال السنوات السابقة، فربَط بين زيادة ثرواتها، وقدرتها على إحداث أرضية للتعافي الاقتصادي، وعزّز مكانتها وأدوارها. ومع عجز حكوماته عن أداء الوظائف الخدمية والرعائية والإنمائية، بسبب التآكل الشديد في الإيرادات العامة، تزايدت الحاجة إلى الاعتماد على تلك النخب القادمة من عالم الإثراء السريع، وعزّزت حصانتها الأمنية من تنامي نفوذها وإمساكها بالقرار الاقتصادي الفعلي، ليتحول الأداء الحكومي الاقتصادي والاستثماري برمّته إلى تعبير عن تطلعات ومصالح تلك الطبقة.

حفّزت تلك الطبقة، بحكم آليات تكوّنها وبنيتها، طروحات سابقة للنظام حول الخصخصة، والتحرر من الدعم الاجتماعي، وتحرير أسعار الطاقة، والتخلّص من أعباء القطاع العام، وانكفاء دور الدولة الاقتصادي إلى حدود الإشراف وتنظيم عمليات الجباية؛ فمهّدت الحكومة الأرضيةَ القانونية والتشريعية لتلك التحوّلات؛ إذ أتاح قانون التشاركية الصادر عام 2016 لمجموعة القاطرجي الاستيلاء على معمل إسمنت حلب ومنشأة صهر الحديد بواسطة شركة (نبض) التابعة له[129]، وتحت شعار التشاركية، أطلق القاطرجي مع النظام عام 2021 شركة «بيريه حلب»، التي تولت استثمار أرض المشفى العسكري القديم في حلب[130] الممتد على 75 ألف متر مربع، لإقامة منتجعات سياحية ومحال تجارية، بكلفة 1200 مليار ليرة سورية، وسمحت القوانين الاستثنائية للقاطرجي بأن يوقّع عقدين لترميم مصفاتي بانياس وحمص[131]،

(129) - انظر: الاطلاع على واقع شركة الإسمنت ومنشأة صهر الحديد ومعامل الليرمون في حلب، أصدقاء سوريا، 2021/10/7، شوهد في 2022/1/18:

https://bit.ly/3k3Hjef

(130) - مجموعة القاطرجي ووزارة السياحة يؤسسان شركة لتنفيذ مشروع مجمع المدينة السياحية بحلب، إعمار سورية، 2021/4/15 شوهد في 2022/1/7:

https://bit.ly/3Cbe55k

(131) - انظر: قاطرجي يتعهد صيانة مصفاة حمص بقيمة 23 مليون دولار، السورية نت، 2020/11/6، شوهد في 2022/2/8:
https://bit.ly/3ttfmkv

بطريقة استثنائية وغير مألوفة، حيث اعتُمدت قيمة العقدين بالدولار الأميركي[132] بدلاً من الليرة السورية، فبلغت قيمة عقد ترميم مصفاة بانياس 100 مليون ليرة سورية، و4،5 مليون دولار، في حين بلغت قيمة ترميم مصفاة حمص 23 مليون دولار. وتشكل هذه العقود سابقة في التعامل الرسمي للنظام، لجهة إبرام عقود داخلية، ومع جهة محلية، بالعملة الصعبة.

كما أتاح القانون رقم 10 للشركات القابضة الاستيلاء على أملاك السوريين؛ فأسس سامر الفوز شركة أمان القابضة[133]، كواحدة من أربع شركات تولت استثمار بساتين الرازي وما حولها، بعد إجبار قاطنيها على الخروج منها وهدمها، بموجب المرسوم 66 لعام 2012، الذي مهّد لصدور القانون 10 لعام 2018 السيئ السمعة، حيث يشرعن بتفاصيله التنظيمية الاستيلاء على أملاك الغائبين، ويعوّض الحاضرين بنسب غير عادلة، ويعزّز هيمنة النظام والشركات القابضة التابعة لمتنفذيه[134].

وعلى إيقاع هيمنة أثرياء الحرب الجدد، تحددت كثير من القوانين والبيانات الجمركية العاملة في البلاد، فبعد فترة وجيزة من حصول أيمن جابر، قبل تحجيمه عام 2017، على حصرية توزيع التبغ في سورية، سارع مجلس الشعب السوري إلى إقرار قانونٍ[135] يشدد فيه عقوبات وغرامات تهريب الدخان الأجنبي، كحماية للوكيل الحصري، بغضّ النظر عن اسمه.

وكذلك مع تأسيس أبو علي خضر لشركة (إيما) للاتصالات، عززت كلّ من وزارتي المالية والاتصالات هيمنته على هذا القطاع، وفرضت قيودًا صارمة على استيراد الأجهزة الخليوية[136]، وفرضت رسومًا جمركية عالية على كل جهاز محمول يدخل البلاد، ولو كان جهازًا شخصيًا ومستعملًا، ليتاح له التحكم في كامل سوق الأجهزة الخليوية ومتمماتها.

إنّ تتبع العلاقة بين صدور القوانين ونتائجها المباشرة والسريعة يكشف عن مستوى الترابط العميق بين مراكز القرار وبين مصالح النخب الحديثة من أثرياء الحرب، بالقدر الذي يكشف فيه قدرة هذه النخب على توظيف النفوذ لصالح استثماراتها، ففي الوقت الذي أغلق فيه النظام معظم معامل السكر التابعة للقطاع العام، تحت ذرائع مختلفة، منح ترخيصًا لسامر الفوز لإقامة أضخم معمل سكّر في البلاد[137]،

---

(132) - انظر: بعد مصفاة بانياس.. مصفاة حمص توقع عقدا م شركة القاطرجي، street journal، 6/12/2020، شوهد في 11/2/2022:
https://bit.ly/3Cb2fs6

(133) - انظر: أربع شركات تطأ مشروع «ماروتا سيتي» في دمشق تعرف إليها، عنب بلدي، 13/12/2018، شوهد في 15/2/2022:
https://bit.ly/3CfPlsY

(134) - **هيومان رايتس ووتش**، قانون الملكية الجديد في سوريا أسئلة وأجوبة، 29/5/2018، شوهد في 3/2/2022:
https://bit.ly/3s9htKv

(135) - انظر: مجلس الشعب، القانون 26 لعام 2017 القاضي بتشديد العقوبات والغرامات على تجارة التبغ غير النظامية، 31/7/2017

(136) - زيادة الرسوم الجمركية على الموبايلات المستوردة الى 30%، سنسيريا، 4/11/2021، شوهد في 8/2/2022:
https://bit.ly/3L9DZKs

(137) - انظر: سامر الفوز ولبيب الاخوان.. الملوك الجدد للسكر في سوريا، البيت السوري في ألمانيا، 10/3/2021 شوهد في 18/1/2022:
https://bit.ly/35y0uZX



بِطاقةٍ إنتاجية تصل إلى مليون طن سنويًّا.

ب- التحرر من الدعم الاجتماعي:

دفع العجز المتزايد وانخفاض الإيرادات العامة إلى تسريع توجّهات النظام في تقليص الدور الرعائي والدعم الاجتماعي (عبر بيع بعض السلع بأسعار مخفضة أو تقديم خدمات مجانية) المقدّم تاريخيًّا لقطاعات الطبابة والتعليم والمحروقات والكهرباء، وبعض الأساسيات الغذائية كالخبز والسكر والرز والزيت، وهو دورٌ شكّل طوال عقود نوعًا من التوازن الهش لأصحاب المداخيل المنخفضة، المقدرة بأقل من مئة دولار وسطيًا حتى عام 2000، والبالغة في ذروتها عام 2011 قرابة 250 دولارًا[138]، وهي لا تتعدى حاليًّا حدود 35 دولارًا وسطيًا، في الشهر.

اتبع النظام مزيجًا من سياسات الصدمة وخطوات التدريج، وافتعال الأزمات المتراكبة، فعمل من خلال «البطاقة الذكية» على تحديد الكميات الممنوحة لكل شخص، وأجرى تخفيضات متكررة على الحصص الموزعة على المواطنين، بما لا يتناسب مع احتياجاتهم، فخفض حصة العائلة من مازوت التدفئة، من 400 ليتر سنويًّا[139] إلى 100 ليتر سنويًّا، توزع على دفعتين، بالسعر المخفض المدعوم، ولا تحصل عليها كثير من العائلات والمناطق، بسبب انعدام التوزيع وعدم توفر المادة.

وأخرج النظام العديد من المواد والخدمات من قائمة الدعم، وقام برفع أسعار المواد المدعومة منذ عام 2019 بنسب تزيد على 500%، ومن أهمّها حوامل الطاقة والقمح، فارتفع سعر ليتر مازوت التدفئة المقنن المدعوم، من 180 ليرة، إلى 500 ليرة، بنسبة 275% [140]، في حين ارتفع المازوت المدعوم المقدم لوسائل النقل إلى 1700 ليرة، بنسبة تزيد على 1000%، كما ارتفعت جرة الغاز المنزلي من 2700 ليرة سورية، إلى 10500 ليرة، بنسبة ارتفاع تعادل 388%، علمًا أنه تم تخفيض كمية الغاز في الجرّة من 12 كغ إلى 10 كغ، ولا تتجاوز حصة العائلة من الغاز المدعوم أكثر من جرّة واحدة، كل 75 يومًا.

كما ارتفع سعر السكر والرز المقنن المدعوم من 200 ليرة إلى 1000 ليرة لكل كغ واحد، بنسبة ارتفاع تعادل 500%، وغالبًا ما تمرّ انقطاعات زمنية للتوزيع، فلا يحصل المواطن على أكثر من نصف الكمية المقررة له سنويًّا، وهي بمعدل واحد كيلو كغ من كل مادة في الشهر، أما الزيت النباتي، فهو أكثر المواد انقطاعًا ضمن المواد المدعومة، وأكثرها ارتفاعًا بنسبة 1500%، إذ ارتفع من 600 ليرة عام 2019 إلى 8500 ليرة عام 2022، وفي أحسن الظروف، تحصل العائلة على ليتري زيت مدعوم سنويًّا، في حين وصلت أسعار

(138) - انظر: أيهم أسد، اختلالات سوق العمل.. شكل رقم 5، مداد مركز دمشق للأبحاث والدراسات، أيلول/ سبتمبر 2019، شوهد في 2022/2/1:

https://bit.ly/3KaMEuP

(139) - انظر: سوريا البدء بتوزيع مازوت التدفئة اعتبارًا من 1 أيلول/ سبتمبر عبر البطاقة الذكية، المرصد، 2019/8/21، شوهد في 2022/1/28:

https://bit.ly/3v9SZ5G

(140) - انظر: تعديل ليتر المازوت إلى 500 ليرة، وربطة الخبز إلى 200 ليرة، وكالة الأنباء الرسمية سانا، 2021/7/10، شوهد في 2021/12/25:
https://bit.ly/3rNzkX4

الليتر حاليًّا (نيسان/ أبريل 2022) في السوق إلى 17 ألف ليرة سورية، مع ندرة في الكميات المطروحة، وكانت أسعار المواد الغذائية قد ارتفعت في عام 2019 حتى الشهر التاسع فيه [141]، بمقدار 100%.

وفي المقابل، حرّر أسعار تلك المواد خارج شبكات الدعم الاجتماعي لتصل إلى مثيلاتها في الأسواق العالمية أو الدول المجاورة، وتتجاوزها لاحقًا بنسبة قُدّرت بـ 40% [142].

وفيما ادعى النظام أنّ المحرك الرئيس لانخفاض الدعم -بشكله السريع والحاد- يعود إلى التبعات الكارثية على الاقتصاد السوري من جراء الحرب والعقوبات المفروضة عليه، وأن «الدولة قد وصلت إلى مرحلة لم يعد لديها الإمكانية للاستمرار بهذا النمط من الدعم الاجتماعي والاقتصادي»[143]، شكّل إمساك الطبقة الناشئة من أمراء الحرب بتوريد وتجارة المواد المدعومة عنصرًا حاسمًا بتخفيض مستويات الدعم وتقليص شبكات الأمان الغذائية والصحية والخدمية، من خلال علاقتها الفوقية بالحكومية السورية، وشراكاتها المالية مع مركز القرار الأعلى ممثلًا بالعائلة الأسدية الشريكة والراعية لأثرياء الحرب.

وغالبًا ما شكّلت التصريحات الرسمية بتقديمها لأرقام كبرى تخصّصها الموازنة للدعم الاجتماعي تبريرًا للنشاط التجاري لأثرياء الحرب، ففي حين قدّرت الحكومة الدعم في قطاع الكهرباء بـ 5 آلاف مليار ليرة سورية سنويًّا[144]، بالرغم من انقطاعها شبه التام عن معظم المناطق السورية الخاضعة للنظام، تدفقت التجهيزات الكهربائية البديلة من البطارية وألواح توليد الطاقة الكهربائية[145] إلى الأسواق، وتم تصنيفها كأهم وأبرز الواردات اليومية القادمة من معبر نصيب إلى سورية، ما يؤكد «دخول شركات مقربّة من آل الأسد على خط هذه التجارة»[146].

وفي حين وفر رفع الدعم الاجتماعي لأثرياء الحرب فروقات أسعار عالية، كان من المفترض وفق التبريرات

---

(141) - انظر: ارتفاع أسعار المواد الغذائية وصل بعضها إلى 100% عام 2019، جسربرس، 2019/9/27، شوهد في 2022/2/3:
https://bit.ly/3k6NQ83

(142) - انظر: رئيس جمعية حماية المستهلك أسعار المواد الغذائية لدينا أغلى من الأسواق المجاورة بـ 40 بالمئة، الاقتصاد اليوم، 2022/3/8، شوهد في 2022/3/8:

https://bit.ly/3rMfXxk

(143) - انظر: المهندس عرنوس: هدف إعادة هيكلة الدعم اقتصادي واجتماعي ووطني، وكالة سانا السورية الرسمية، 2022/2/10، شوهد في 2022/2/12:

https://bit.ly/3HGbZM3

(144) - انظر: أكثر من 5000 مليار ليرة سورية قيمة الدعم المقدم في قطاع الكهرباء، وكالة الأنباء الرسمية السورية سانا، 2022/2/9، شوهد في 2022/2/10:

https://bit.ly/35R1IiE

(145) - انظر: 80 شاحنة وسطيًّا تغادر نصيب يوميًا و60 تدخل سوريا أغلب حملتها معدات طاقة بديلة، سيريا ديلي نيوز، 2021/10/14، شوهد في 2022/1/15:

https://bit.ly/3HF4qFd

(146) - الطاقة الشمسية.. السوق السورية تفتح بوابة جديدة لأثرياء الحرب، موقع المدن، 2021/8/10، شوهد في 2022/2/6:
https://bit.ly/3vxXkQG



الرسمية أن تذهب إلى الخزينة السورية، استطاعت تلك الطبقة أن تفرض أسعارها المتحركة صعودًا باطراد على كل المواد والسلع المدعومة وغير المدعومة، كناتج طبيعي لحركة السوق أولًا، وتعبيرًا عن ارتباط السلع المدعومة، وبالأخص حوامل الطاقة والنقل، بكل نواحي الإنتاج ثانيًا، ما يوفر لها مزيدًا من الأرباح باعتبارها القابض الفعلي على عمليتي التجارة والتوريد.

ج-الاحتكار، والاحتكار العنيف:

بين عملية الولادة القسرية لأثرياء الحرب، وإزاحة النخب القديمة أو استتباعها، برز العنف كفاعل رئيس في تكوين التشكيلات الاقتصادية الصاعدة من عالم أمراء الحرب، لتحدد عبر وسائل الضغط والإكراه مناطق النفوذ الاقتصادية بدلالتها المناطقية والسلعية، والتي جرى اقتسام حصصها وتوزيعها وفق معادلات تتبع لخليط من التقاسم بين الحلفاء من جهة (روسيا، إيران، النظام) وبين معادلة اقتسام الثروة ضمن العائلة الحاكمة (بشار، أسماء، ماهر) من جهة ثانية، حيث تشير تتبعات الأسماء النافذة في قائمة أمراء الحرب إلى خيط وثيق يربط بين كل من الأسماء الصاعدة وأحد الأطراف الفاعلة كراعٍ له أو شريك فعلي.

فعند ماهر الأسد المتقاطع بشدة مع الجانب الإيراني، ينتهي خيط عامر خيتي، وأبو علي خضر وسامر الدبس ووسيم قطان. وعند أسماء الأسد تنتهي الخيوط التي تنامت في نشأتها الأولى تحت السقف الروسي، من خيط يسار إبراهيم، وأحمد خليل، وهمام مسوتي. ويتفرد القاطرجي ذو الولاءات المتعددة بعلاقة مباشرة مع بشار الأسد، الحاضر الغائب، ضمن هذه المعادلات المتشابكة والمعقدة.

ومع أن هذه الانتماءات والحمايات الشخصية لأثرياء الحرب، من الجهات المحلية والإقليمية، لا تشكل ترسيمًا نهائيًا لتقاسمات الحصص في الاقتصاد السوري، ولا تشير إلى اصطفافات نهائية في مواقع أفرادها، فإنها فرضت في شكلها الحالي سياقًا احتكاريًا لكل فرد من أفرادها على واحد من القطاعات الاقتصادية المهمة في سورية.

وانتظمت آليات «التطويب» الاحتكاري لأثرياء الحرب في قطاعاتهم الاقتصادية، عبر سلسلة من الخطوات التمهيدية ذات الطابع القسري والعنيف، بدأت بإجراءات تحذيرية وعقابية شملت قدامى النخب لتحييدهم وإزاحتهم، وظهرت في معظمها على شكل حجز احتياطي[147]، أو على شكل غرامات مالية بسبب مخالفات إدارية وجمركية سابقة، وكان الحجز الاحتياطي قد شمل أسماء كبيرة ومتعددة لعشرات الأسماء الاقتصادية المعروفة، منها على سبيل المثال محمد حمشو، وهيثم جود، حتى طريف الأخرس عمّ أسماء الأسد، بالإضافة إلى رامي مخلوف[148].

(147) - انظر: رجال أعمال جدد يدخلون القائمة.. ما دلالات الحجز على أموال أثرياء سوريا؟ روسيا اليوم، 2019/12/25، شوهد في 2022/3/1:

https://bit.ly/390Qytl

(148) - انظر: الأسد يأكل رجاله، عربي بوست، 2022، شوهد في 2022/2/19:

https://bit.ly/3k4BDRp

وبمستوى أقلّ عنفًا، شكليًّا، أوحت مجموعة من الخطوات التشريعية والإدارية والتعاقدات الحكومية مع أفراد معينين، بضرورة إخلاء الساحة لهم كمعتمدين حصريين غير قابلين للتنافس، وباستثناء رامي مخلوف الذي أبدى قدرًا من الممانعة، اتّسمت عمليات الاستبدال الحصرية للنخب القديمة بأخرى جديدة، في ظاهرها، بمرونة عالية، أخفت وراءها حجم العنف والنفوذ الداعم للوافدين الجدد. وإذا كان الاحتكار ينطوي بذاته على مفهوم العنف، فإن إغلاق باب المنافسة والإقصاء هو أحد تجلياته المباشرة في الاقتصاد السوري، فذهبت شرائح واسعة من الصناعيين والتجار إلى حدّ تصفية أعمالها، فيما اكتفى آخرون بالانكفاء والحدّ من نشاطاتهم التي لا يرغب أثرياء الحرب في استمرارها.

لم تتوقف متلازمة العنف والاحتكار عند طرائقها المحمية بالنفوذ والإجراءات المغطاة بالقناع الرسمي، عبر التضييق والدفع إلى الإغلاق، بل استدعت أشكالًا وحشية قادمة من عالم الميليشيا؛ ففي الوقت الذي أطلق فيه أبو علي خضر، المحتكر الأساسي لاستيراد الحبيبات البلاستيكية، معمله الجديد لصناعة البلاستيك والطباعة والأغلفة الغذائية، تعرّض معملا بلاستيك يُصنّعان المنتجَ ذاته للحريق والدمار في ريف دمشق، أحدهما في مدينة صحنايا والآخر في جنوب دمشق، وتفرّد منتَج معمل أبو علي خضر بالتسويق[149]، بعد قيامه بإجبار معامل الأغذية على تبديل الأغلفة الخاصة بها، واعتماد النماذج التي يقدمها هو.

د- المكتب السري:

ويسمّى رسميًّا بالمكتب المالي والاقتصادي للقصر الجمهوري»[150]. وكان يسار إبراهيم الذي بات يسمى «خازن القصر»، قد عيّن مديرًا له في أيار/ مايو 2020، بصلاحيات واسعة تتعدى مهمة متابعة «اقتصاد العائلة» إلى الهيمنة على الاقتصاد السوري والتحكّم فيه، ومن ضمنها فرض الإتاوات المنتظمة على الفعاليات الاقتصادية الكبرى والمتوسطة، وفق مبالغ يحددها لهم بعد مداهمته لمقارّهم التجارية أو استدعائهم، معززًا بقوة تنفيذية تابعة لفرع «أمن الدولة»[151].

وتجد الفعاليات الاقتصادية نفسها مخيّرة بين الإغلاق أو المحاسبة في حالتي الرفض أو التأخر في الدفع، وبحسب طريقة الدفع المفروضة على التجار والصناعيين، يذهب جزء من الأموال إلى خزينة الدولة عبر المصرف المركزي، كشرط للحصول على براءة الذمة، وتذهب أجزاء أخرى إلى جهات يحددها المكتب، وهي غالبًا فعاليات تنتمي لأنشطة اقتصادية تتبع لأسماء الأسد بمسمّيات خيرية. وهناك دفوعات أخرى غير مدونة تدفع لأفراد المكتب المداهمين للتساهل في تقييم الإتاوة[152]، أو لغض النظر عنها بوتائر زمنية أقل.

(149) - انظر: أبوعلي خضر يُجبر معامل في ريف دمشق على شراء منتجاته بطريقة تشبيحية، موقع تلفزيون سوريا، 2022/1/25، شوهد في 2022/2/3:

https://bit.ly/34bvUEO

(150) - انظر: عروة خليفة، مهند أبو الحسن، المكتب السري للابتزاز المالي في سوريا، الجمهورية نت، 2022/1/3 شوهد في 2022/1/17:
https://bit.ly/36GBuQt

(151) - انظر: ضياء عودة، المكتب السري يرفد خزينة الأسد بعائدات الإتاوة، موقع الحرة، 2021/6/18، شوهد في 2022/3/2:
https://arbne.ws/3MxTI7o

(152) - المصدر نفسه



ومع ارتفاع الضائقة المالية للنظام، وسّع المكتب السرّي أنشطته الجبائية لتشمل الفعاليات الوسطى والصغرى، ففي شهر أيلول/ سبتمبر 2021، وحده، حجز المكتب السرّي أموال 800 شركة[153]، ليتحول المكتب السري إلى الذراع الضاربة للنظام بوجه الصناعيين والتجار، والمكتب السري هو تسمية قديمة لأحد مكاتب الجمارك السورية التابعة لوزارة المالية، وكان النظام أعلن إغلاقه في 2009، لكن أخبار أنشطته استمرت خلال الحرب، من دون التأكد من تابعيته في حينها[154]، وتسري أخبار بوجود مكتب سري آخر يتبع الفرقة الرابعة، ويمارس الدور ذاته.

شكلت ممارسات المكتب السري عاملًا إضافيًا فرض قيودًا جديدة فوق قيود الاحتكار وارتفاع تكاليف مدخلات الإنتاج، ليدفع بمزيد من الفعاليات الاقتصادية إلى الهجرة الخارجية بعد تصفية أعمالها، وهناك حديث عن أرقام هائلة من الصناعيين، هاجروا أو هم في طريقهم إلى الهجرة[155]، قبل أن يسارع النظام إلى نفي تلك الأرقام دون أن ينفي الظاهرة، وغالبًا ما يُقصد بالصناعيين الأيدي الماهرة والحرفيين والتقنيين المتوسطين، إضافة إلى أصحاب الورش والمصانع الصغيرة والمتوسطة. ويُعدّ الصناعي عدنان النن الذي يملك معمل حلاوة البرج المعروفة محليًّا واحدًا من هؤلاء، حيث اختفت بضائعه من الأسواق فجأة، وارتفعت أسعارها خلال أيام بنسب عالية تزيد عن 20%، وذلك بعد زيارة المكتب السرّي لمعمله.

---

(153) - انظر: خلال شهر المكتب السري يحجز 800 شركة في مناطق نظام الأسد، «سانا» الوكالة السورية للأنباء، 2021/9/23، شوهد في 2022/1/8:

https://bit.ly/3hHVjsM

(154) - انظر: تجّار دمشق تحت رحمة مداهمات المكتب السري، الشرق الأوسط، 2015/7/29، شوهد في 2022/1/4:
https://bit.ly/3vBxds7

(155) - انظر: 47 ألف صناعي سوري هاجروا خلال أسبوعين، الشرق الأوسط، 2021/9/26، شوهد في 2022/1/8:
https://bit.ly/35zdpe6

سابعًا: تأثير الهيمنة على الواقع المعيشي

كرّس أثرياء الحرب في سورية واقعًا يقوم على استمرار فاعليات اقتصاد الحرب كأداة وظيفية يتقاطع فيها العامل التربحي لأفرادها مع المنظور السياسي لبقاء السلطة التي باتوا شركاء فعليين في هياكلها العميقة، فأداروا الاقتصاد السوري على غرار طرائقهم في إدارة الحواجز والمعابر، باستخدام العنف والنفوذ والتشبيح و«التعفيش»[156]، وبات إنتاج الأزمات المتكررة وتوظيفها في حلقات دورية لارتفاع الأسعار سمةً رئيسيةً دائمة الحدوث، وتحوّل مفهوم تأمين السلع والخدمات للمواطنين (حتى الخدمات الرسمية) من مفهوم الوظائف الواجبة والضرورية (كفاعليات طبيعية للدولة والاقتصاد)، إلى (فاعليات استثنائية) يشكل الحصول على السلع والخدمات فيها ميزة، يطلب المزود الرئيسي مبالغ إضافية مقابل تأمينها للمواطنين.

ولعبت ثنائية (النظام/ أثرياء الحرب) على مفهوم الحصار واستمرار العقوبات الخارجية، لتعزيز هذا الواقع، فكما كانت قدرة القاطرجي على تمرير مواد غذائية لمدينة دير الزور لحظة حصار (داعش) لها، عاملًا لاستغلال الواقع وبيعها بأسعار مرتفعة جدًّا[157]، توظف هذه الثنائية آليات الاستيراد وتمرير البضائع بشكل يمكنها على الدوام من خلق واقع شبيه يتصف بالشح والحرمان، من خلال قوانين وتعاميم وإجراءات محددة، تخوّلها التحكم في آليات الاستيراد وكمياته وحجم التدفقات السلعية في السوق السورية.

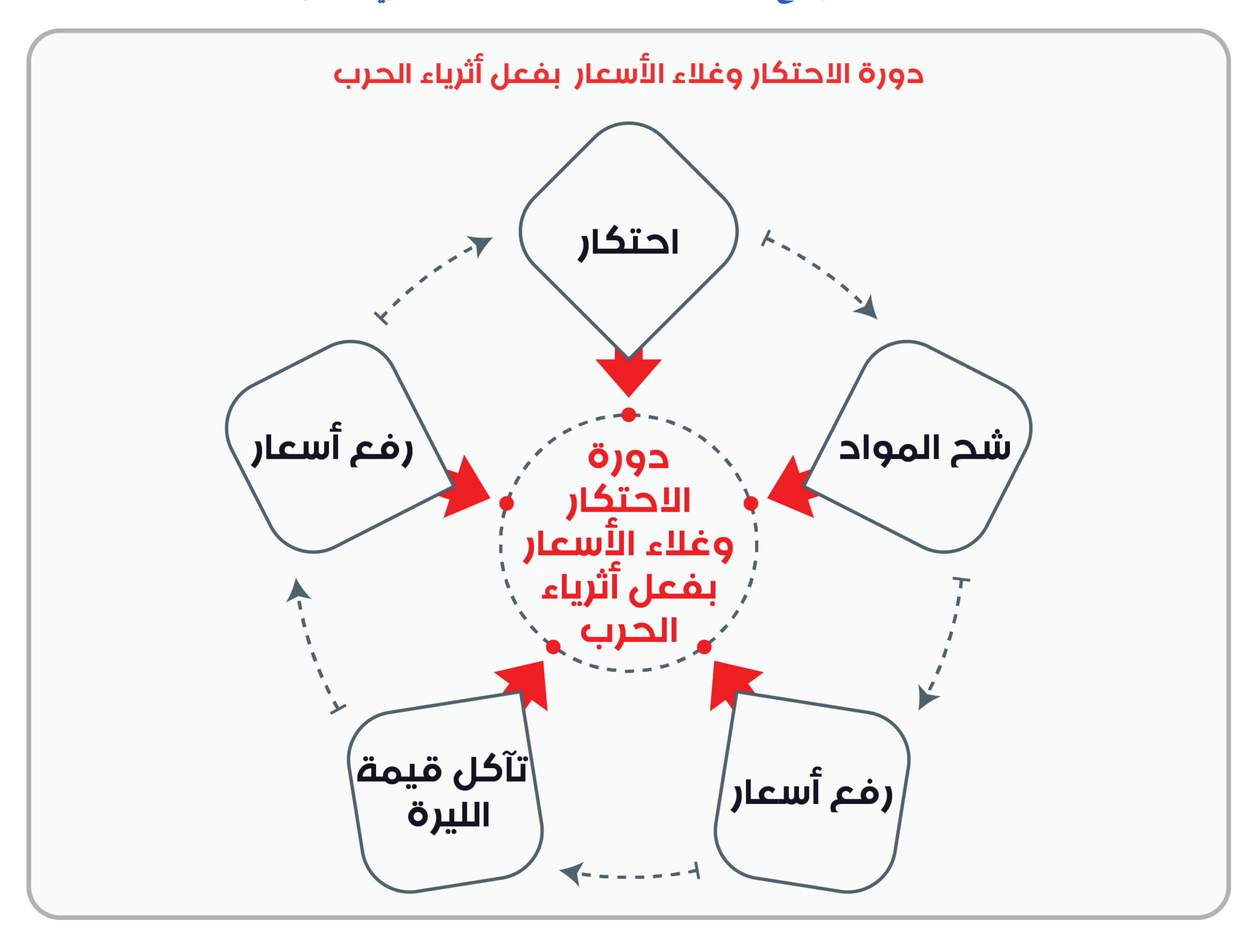
---

(156) - التعفيش باللغة العامية الدارجة يقصد به سرقة موجودات البيوت التي هجرها أصحابها أو أرغموا على تركها، وهي ظاهرة مارستها سلطات النظام في كل مناطق التظاهر التي اقتحمتها، فقامت ميليشياتهم وجنودهم بسرقة موجودات البيوت والمحال والمستودعات والمصانع، وفعلت فصائل المعارضة الأمر ذاته، عندما سيطرت على بعض المناطق، فنهبوا مستودعاتها وموجوداتها ومصانعها ومؤسساتها وشركات القطاعين الحكومي والخاص. (الباحث)

(157) - انظر: **منظمة مع العدالة**، شبكة رجال الأعمال لتمويل النظام السوري والتحايل على العقوبات الدولية ط1 2020 ص 63، https://bit.ly/3M5ocND



الشكل (10) يوضح دورة الاحتكار وغلاء الأسعار بفعل أثرياء الحرب



ومع مزيج العجز الحكومي، والتماهي مع أثرياء الحرب، اقتصر الدور الوظيفي للنظام -بحسب التصريحات الرسمية- إلى إدارة للنقص[158]، ومن خلال شراكات مضمرة، وأساليب احتكارية، وعقود توريد حصرية، تحوّلت وزارة التجارة الداخلية إلى قناع تجاري، ووسيط مكّن أثرياء الحرب من فرض أسعار سلعهم في الأسواق وفي صالاتها التي يبلغ عددها 1600 صالة.

وانعكس ارتفاع أسعار المشتقات النفطية التي يحتكر تجارتها وتوريد الجزء المحلّي منها القاطرجي، ويُسهم في تكريرها، موجات متكررة من الغلاء على جميع السلع بدون استثناء، وكانت المشتقات النفطية قد ارتفعت 2021 أربع مرات، في سبعة أشهر[159]، بنسبة 250%، بالرغم من ثبات سعر الصرف بحدود ما في هذه الفترة.

وكان ارتفاع سعر الخبز (المدعوم تاريخيًّا) الخطوة الأبرز، إذ قفز من 50 ليرة إلى 200 ليرة، كما ارتفع

(158) - انظر: «وزير النفط: ندير نقص وليس وفرة ومن لديه مقترحات فليقدمها» سناكسيريان، 2020/9/17، شوهد في 2022/2/25:
https://bit.ly/3vAzpQA

(159) - انظر: فؤاد عبد العزيز، الوقود يحرق معيشة السوريين: ارتفاع السعر 4 مرات في 7 أشهر، العربي الجديد، 2021/10/16، شوهد في 2021/1/29:

https://bit.ly/3KhzNY6

سعر الخبز غير المدعوم إلى 3 آلاف ليرة، وهو السعر الذي وصل إليه القمح والطحين غير المدعوم، بزيادة تقارب مقدار الضعف عن أسعاره العالمية، ويُعدّ القاطرجي المورد الرئيسي للقمح القادم من مناطق «الإدارة الذاتية» إلى النظام.

أسعار السلع الأساسية في سوريا ترتفع بين 150 إلى 360 % خلال عام

		بداية عام 2020	آذار	أيار	حزيران	آب
سكر	سعر الكيلو	500 ليرة	600 ليرة	700 ليرة	1000 - 1200 ليرة	1300 ليرة
الرز الإسباني	سعر الكيلو	1000 ليرة	1250 ليرة	1350 ليرة	1600 ليرة	1700 ليرة
زيت القلي	سعر اللتر	1300 ليرة	1550 ليرة	1800 ليرة	2700 ليرة	3300 ليرة

وبعد آب استمرت الأسعار بالارتفاع التدريجي حتى وصلت في منتصف كانون الأول الجاري إلى

1600 ليرة
% 250

5000 - 4500 ليرة
% 286

2700 - 2500 ليرة
% 170

نسبة ارتفاع الأسعار منذ بداية العام

300%
وطال ارتفاع الأسعار الكثير من السلع الأساسية الأخرى، حيث وصلت نسبة الارتفاع ببعض السلع إلى

مثل

شاي

قهوة

ارتفع سعر كيلو اللبن من 250 ليرة إلى 1000 ليرة.

وارتفع سعر صحن البيض من 1200 ل.س إلى ما بين 5500 - 6000 ل.س

نسبة ارتفاع وصلت % 360

وكذلك الفروج والكثير من المواد الاستهلاكية.

I am Sorry !!!!!

ارتفاع السلع الأساسية خلال عام 2020/ المصدر تلفزيون سوريا

مقارنة أسعار بعض السلع بين عامي 2020 و 2022

المواد	0202 كانون الثاني	1202 آذار	2202 شباط	معدل الارتفاع الكلي
أسعار السكر غير المدعوم	054	0042	0003	%666
أسعار الخبز المدعوم	05	001	002	%004
أسعار الزيت غير المدعوم	0071	0056	00021	%007
أسعار اللحوم الحمراء	0008	00081	00003	%573
أسعار اللحوم البيضاء	0051	0054	0008	%335
أسعار الرز غير المدعوم	055	0012	0053	%636

مصدر الأرقام الباحث باعتماد أسعار السوق الحالية، ونشرات أسعار منشورة

وتتضح الآثار الكارثية، لإمساك أثرياء الحرب بمفاصل الاقتصاد السوري، من خلال الأرقام المحلية والدولية المعلنة عن الوضع المعيشي والإنساني في سورية، ففي حين «أعلن المكتب المركزي للإحصاء أن الرقم القياسي لأسعار المستهلك حتى شهر آب/ أغسطس 2020 بلغ 2107%[160]، مقارنة بأسعار الأساس لعام 2010، أعلن أستاذ الاقتصاد التطبيقي بجامعة (جونز هوبكنز) الأميركية، ومدير مشروع العملات المضطربة في معهد كاتو في واشنطن، البروفيسور ستيف هانكي أن حجم التضخم في سورية لعام 2021، بلغ 246.04%»[161].

وبتحليل البيانات وفق سياقها الزمني[162]، نلحظ الأثر التراكمي المتتابع لإمساك أثرياء الحرب بمفاصل الاقتصاد السوري، حيث باتت سورية تحتلّ المرتبة الأولى بين أكثر الدول انعدامًا للأمن الغذائي، وذلك بوجود أكثر من 14 مليون سوري في الداخل باتوا مضطرين إلى الاعتماد على المساعدات لتأمين احتياجاتهم الضرورية[163]، بزيادة 9% عن عام 2021، وزيادة 32 % عن عام 2020.

(160) - خبير اقتصادي في جامعة أميركية يكشف حجم التضخم في سوريا لعام 2021، 26/3/2021، STEP NEWS، شوهد في 1/3/2022:
https://bit.ly/3vDjMaV

(161) - المصدر نفسه

(162) - انظر: منسقو استجابة سوريا، 26 شباط/ فبراير 2022، شوهد في 27/2/2022:
https://bit.ly/3Foj6cy

(163) - OCHA, Humanitarian needs overview, Syrian Arab Republic, February 2022, https://2u.pw/2ouDY

خاتمة:

في ظل اقتصاد زبائني مغلق على نخبة اقتصادية تكوّنت من مزيج «شبكات الحظوة»[164] مع شبكة «قرابات الدم» كان يصعب، حتى في ظروف التحوّل إلى اقتصاد الحرب، تخيّل انقلابات موازية في هرمية وتكوين النخب الاقتصادية، مع بقاء السلطة السياسية المنبثقة عنها، ليتحول بائع دجاج صغير، مثل أبو علي خضر (خضر علي طاهر) من طامح إلى الحصول على سلة غذائية من إحدى جمعيات رامي مخلوف الخيرية، إلى واحد من أهم بدائله في الاقتصاد السوري، ويعمد في مزيد من الإذلال والتعبير عن فائض القوة المكتسب من موقعه الاقتصادي الجديد، إلى إرسال عناصر شركته الأمنية لاقتحام مكاتب رامي مخلوف الذي كان متوجًا على عرش الاقتصاد الزبائني السوري منذ تولي (ابن عمته) بشار الأسد السلطة عام 2000 إلى حين تهميشه عام 2019.

وفي تعبير دلالي موازٍ، يصعب تصور انتقال شخصية ذات رمزية اقتصادية، مثل أديب ميالة الذي شغل منصب حاكم مصرف سورية المركزي بين عامي (2005، و2016)، وكان وزيرًا للاقتصاد حتى العام 2017، إلى موظف (برتبة مدير مالي)[165]، في شركات أمير الحرب حسام القاطرجي، شبه الأمّي، القادم من العدم.

وبعيدًا عن المفاضلة بين نخبتين اقتصاديتين لذات النظام، والتذكر أن النخب الاقتصادية القديمة تولت إلى حد بعيد عمليات الإخضاع، كواحدة من وظائفها المعنوية لصالح النظام، وأسهمت في عمليات النهب والإفقار، لكنها اختزنت، في بعض بقايا البرجوازية الوطنية فيها، قابليات مفتوحة على النهوض بالاقتصاد السوري، فيما لو أتيح لها المجال، خلافًا للنخب الجديدة القادمة من عالم الميليشيا، بكل ضراوتها، ونظرتها للاقتصاد السوري كأحد حقول التعفيش المفتوحة أمامها في عالمٍ بلا ضوابط أو حساب.

وبانحيازه إلى اقتصاد الحرب عبر تطويب أثريائها في قاطرة الاقتصاد السوري، وجد النظام في نقطة التلاقي بينه وبين أثرياء الحرب هويته الذاتية، ففي حين شكّلهم على صورته، كان يقترب أكثر من التحول إلى صورتهم، بمزيج من الاضطرار الموضوعي، والقصدية الواعية، ليتخذ أنماطًا تتيح له مزيدًا من التبريرات والتحلل من مسؤوليات الواقع ومآلاته، بمقدار ما يتيح له، أيضًا، استثماره على الصعيدين المالي والسياسي.

ومن علاقة المضامين الرثة بأشكالها، أنتج النظام أثرياء حربه من حثالات قاع المجتمع، وجعل من شخصيات إجرامية، بمؤهلات شخصية وثقافية معدومة، رموزًا اقتصادية، في استبطانٍ لا يخلو من دلالات القوة واستعراضها، وفي إيحاء متجدد، لتذكير الشعب السوري ونخبه المهمشة، بعلاقة الثروة بالنفوذ كفاعل أول، وممر إجباري إلى سلّم الارتقاء، يسمح بعبوره لمن يشاء.

(164) - انظر: أورورا سوتيمانو، النخبة الاقتصادية السورية، شبكات الحظوة واقتصاد الحرب، أصوات مدنية، ت مايا ميلاني، 2016/11/16، شوهد في 2021/12/15:

https://bit.ly/3K6AMKZ

(165) - انظر: أديب ميالة.. من وزير وحاكم للمصرف المركزي إلى موظف عند قائد ميليشيا وتاجر حرب، اورينت، 2022/1/25، شوهد في 2022/2/25:

https://bit.ly/3Lf1yBy



ومن المؤكد أن تقاطع الانحطاط السياسي مع الانحطاط الاقتصادي الراهن، برموزه القادمة من عالم السمسرة والاحتيال والأعمال الإجرامية، يتعدّى بآثاره الكارثية قابليات استمراره كنمط اقتصادي قائم ومعمم، إلى انعدام الثقة بقابليات إعادة الاعمار كضرورة لا بد منها لتجنب مزيد من الكوارث والمآسي على شعبٍ بات يفتقر إلى كل مقومات الأمان والحياة، ويقف على أعتاب مجاعة فعلية، يُعزز وتيرة تسارعها وجود أثرياء الحرب في صدارة المشهد الاقتصادي السوري.



ملحق رقم 1 بأسماء رجال أعمال سوريين معاقبين

بلغ عدد رجال الأعمال المستهدفين بالعقوبات 292 فردًا، وشملت تجميد الأصول والحظر لـ 70 كيانًا، وشملت العقوبات: بشار الأسد، ماهر الأسد، أسماء الأسد، وحافظ بشار الأسد.

الاسم	الجهة التي فرضت العقوبات
إيهاب محمد مخلوف	أميركية
إياد محمد مخلوف	اتحاد أوروبي
أيمن جابر	اتحاد أوروبي – أميركية
بشر الصبان	اتحاد أوروبي 6102
بلال النعال	أميركية 0202
بشاركيوان	حكم 5 سنوات في الكويت بتبييض أموال، فرّإلى العراق
بشارمحمد عاصي	اتحاد أوروبي
جورج حسواني	أميركية
حافظ محمد مخلوف	اتحاد أوروبي
حسام أحمد قاطرجي	أوروبية – أميركية 0202
حسين فوز	اتحاد أوروبي
حيان محمد ناظم قدور	اتحاد أوروبي
خالد الزبيدي	اتحاد أوروبي
خالد ناصرقدور	بريطانية – أوروبية
خضرعلي طاهر	أميركية 0202
خلدون الزعبي	اتحاد أوروبي
رامي محمد مخلوف	أميركية – أوروبية – كندية
رنا حسين إبراهيم	أميركية 0202
سليم محمد دعبول	أميركية 0202



سامر زهير فوز	أميركية – أوروبية
سامر الدبس	أميركية
سارة محمد مخلوف	اتحاد أوروبي
سليمان معروف	أميركية
سليم جرجس ألتون	عوقب 6 أشهر، وأزيلت
شهلا محمد مخلوف	اتحاد أوروبي
طريف الأخرس	اتحاد أوروبي – بريطانية – كندية
عامر زهير الفوز	اتحاد أوروبي
عادل علبي	أوروبية – أميركية
عصام أنبوبا	أوروبية 1102
عطية خوري	أميركية 6102
عدنان العلبي	أميركية
عامر حسيني	أميركية 0202
عمار شريف	اتحاد أوروبي
غادة أديب مهنا	اتحاد أوروبي
فارس الشهابي	أوروبية
فادي صقر	أميركية 0202
بلال النعال	أميركية 0202
كِندا محمد مخلوف	اتحاد أوروبي
معن رزق الله هيكل	اتحاد أوروبي
محمد عباس	اتحاد أوروبي
محمد عامر الشويكي	أميركية 8102
محمد حمشو	أميركية – أوروبية
مازن الترزي	أميركية 5102 – أوروبية – اعتقال مؤقت في الكويت

محمد أنس طلس	اتحاد أوروبي 9102
محمد براء قاطرجي	أميركية 8102
محمد عصام شموط	أميركية
مهران خوندة	اتحاد أوروبي
محمد زهير جمال الدين	اتحاد أوروبي
محمد زاهي مرتيني	اتحاد أوروبي 8102
منذر الأسد	اتحاد أوروبي
نادر القلعي (توفي)	اتحاد أوروبي
نبيل طعمة	أميركية 0202
نسرين حسين إبراهيم	أميركية 0202
نذير احمد جمال الدين	اتحاد أوروبي
لينا كناية	أميركية 0202
هلا طريف الماغوط	اتحاد أوروبي
هاشم أنور العقاد	اتحاد أوروبي
همام مسوتي	أميركية
وسيم القطان	عقوبات
وهيب مرعي (توفي)	عقوبات
ياسر عزيز عباس	أميركية
يسار إبراهيم	أميركية – أوروبية 0202



قائمة المراجع:

- باريش، منهل. الشركات الأمنية الخاصة في سوريا: وكلاء جدد في خدمة النظام، MIDDLE EAST DIRE-CYIONS،
https://bit.ly/39dpQhl

- بشارة، عزمي. سورية درب الآلام والحرية/ محاولة في التاريخ الراهن، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014.

- التركاوي، خالد. أثرياء سوريا في زمن الحرب،
https://bit.ly/3KilIdl

- اقتصاديات الحرب في سوريا،
https://bit.ly/3spvQKW

- حايد، حايد. إعادة دمج الجماعات المسلحة السورية، الآليات، الجهات الفاعلة، مركز مالكوم كير- كارنيغي للشرق الأوسط
https://bit.ly/3hsxLrS

- الخالدي، سليمان، مها الدهان، توم بيري، مايكل جورجي. تقرير خاص- اقتصاد منهار ونزاع عائلي يكثفان الضغط على الرئيس الأسد، رويتر،
https://reut.rs/3C4YFzM

- خليفة، عروة. انتخاب المعينين، الجمهورية نت،
https://bit.ly/35fPBMj

- أبو الحسن مهند المكتب السري للابتزاز المالي في سوريا، الجمهورية نت،
https://bit.ly/36GBuQt

- الدسوقي، أيمن. شبكة اقتصاد الفرقة الرابعة خلال الصراع السوري، MIDDLE EAST DIRICTIONS
https://bit.ly/3C505dp



- سعيد، سلام، يازجي، جهاد، إعادة اعمار سوريا إعادة اندماج وبناء سلام عادل اجتماعيًا أم ترسيخ للنظام؟ FRIEDRIHC EBERT STIFTUNG،
https://bit.ly/3k2NvTE

- ضاهر، جوزيف. غرف التجارة السورية في العام 2020 صعود نخبة جديدة من رجال الأعمال،15، MIDDLE EAST DIRECTIONS،
https://bit.ly/3voAYR

- الاقتصاد السياسي في سوريا ترسيخ توجهات ما قبل الحرب، مبادرة الإصلاح العربي:
https://bit.ly/3vEvLDB

- نظام الأسد ما زال يتكئ على شظايا البرجوازية السنية، syrianuntold
https://bit.ly/3xNPh3a

- مبادرة الإصلاح العربي، ورقة بحثية، دول الخليج وجهة رؤوس الأموال السورية: دولة الإمارات العربية مثالًا، مبادرة الإصلاح العربي، 2018/12/5
https://bit.ly/3OytYbI

- منظمة مع العدالة، شبكة رجال الأعمال لتمويل النظام السوري والتحايل على العقوبات الدولية، ط1 2020
https://bit.ly/3M5ocND

- ميلاني، مايا. النخبة الاقتصادية السورية، شبكات الحظوة واقتصاد الحرب، أصوات مدنية،
https://bit.ly/3K6AMKZ

- ـ النخبة الاقتصادية السورية، شبكات الحظوة واقتصاد الحرب، أصوات مدنية،
https://bit.ly/3K6AMKZ

- هيومان رايتس ووتش، قانون الملكية الجديد في سوريا أسئلة وأجوبة، 2018/5/29،
https://bit.ly/3s9htKv

- OCHA, Humanitarian needs overview, Syrian Arab Republic, February 2022, https://2u.pw/2ouDY

- How Asma Assad transformed from 'Desert Rose' into Syria's 'Iron Lady', Doron Paski, ctech https://bit.ly/3Laoou2.

مركز حرمون للدراسات المعاصرة

هو مؤسّسة بحثية مستقلة، لا تستهدف الربح، تُعنى بإنتاج الدراسات والبحوث السياسية والمجتمعية والفكرية المتعلقة بالشأن السوري خاصة، والصراع الدائر في سورية وسيناريوهات تطوره، وتهتم بتعزيز أداء المجتمع المدني، ونشر الوعي الديمقراطي. كما تهتم أيضًا بالقضايا العربية، والصراعات المتعلقة بها، وبالعلاقات العربية الإقليمية والدولية.

يُنفذ المركز مشاريع ونشاطات، ويُطلق مبادرات من أجل بناء مستقبل سورية، على أسس وقيم الديمقراطية والحرية والمساواة وحقوق الإنسان وقيم المواطنة المتساوية، ويسعى لأن يكون ميدانًا للحوار البنّاء، وساحة لتلاقي الأفكار.

- أبحاث سياسية
- أبحاث اجتماعية
- أبحاث اقتصادية
- ترجمات
- أبحاث قانونية

www.harmoon.org

مركز حرمون للدراسات المعاصرة
Harmoon Center for Contemporary Studies
Harmoon Araştırmalar Merkezi
Doha, Qatar Tel. (+974) 44 885 996 PO.Box 22663
Istanbul, Turkey Tel. +90 (212) 813 32 17 PO.Box 34055
Tel. +90 (212) 524 04 05